سلسلة أساطير من الشرق والغرب

النبي المجهول

وقصص أخرى

إعداد وتحرير
د/ محمد ممتاز



الكتـــــاب: النبي المجهول
إعـــــداد: د/ محمد ممتاز
عدد الصفحات: ١٦٠
رقم الإيـــداع: ٢٠٠٧/١٢٥٣٤٢
رقم الإيداع الدولي:

١٧ش النصر من ش ضياء/الهرم/الجيزة

الدار ترحب بإسهامات الأدباء الشبان على البريد الالكتروني

darnevertary@gmail.com
Tel: 0103510557

د/محمد ممتاز

رسالة إلي جمهور القراء

الحمد لله رب العالمين الذي وفقنا في أسرة دار "تفرتاري" إلي إخراج باكورة أعمالنا في مجال الروايات والقصص العالمية الهادفة والمنتقاة بعناية، وهي سلسلة أساطير من الشرق والغرب، والتي نرجو أن تحوز علي إعجابكم ورضاكم ونحن في إنتظار تعليقاتكم ومقترحاتكم وإسهاماتكم في مختلف مجالات الأدب والمعرفة.

ولا يسعني إلا أن أتوجه بالشكر إلي الأستاذ/عمرو قطب عامر. صاحب ومدير مؤسسة "قطز" للطباعة، وللأستاذ/محمد السيد باشا. مدير "دار المصرية للعلوم" الذين ساهما بصورة فعالة في إخراج هذا العمل بصورة جيدة قدر الامكان.

محمد ممتاز

مدير دار نفرتاري للعلوم

محتويات العدد

الجائعة

"قصة حالة نفسية واقعية عالجها الأخصائي النفساني الدكتور / روبرت لندنر

أثبت علم النفس الحديث أن معظم الشذوذ الذي قد يلابس تصرفاتنا، ومعظم المتاعب التي نتعرض لها في الحياة، قد ترجع في أصلها إلى تجارب مررنا بها في ماضينا، وفي مرحلتي الطفولة والمراهقة بوجه خاص ... وهذه مأساة جديدة من المآسي التي عرضها الطبيب والمحلل النفسي العالمي "روبرت لندنر".

والبطلة إمرأة كانت ضحية، وضحية بشعة، لعقدة نفسية مستعصية، تبين لنا مدى ما يجنيه الأباء والأمهات على أبنائهم وبناتهم، عندما يتخلون عن التحرز في علاقاتهم الجنسية، أو في مشاجراتهم وشقاقهم.

ذات الوجهين !

◆ لورا.... ذات الوجهين !

لقد رأيت في ذلك النهار أحد وجهيها فـإذا بـه بـشع، منتفخ كأنه البالون على وشك الإنفجار، وإذا عيناهـا تكـادان تضيعان في بالوعتين من اللحم المتورم، لولا شعاعين من نار الحمى كانا ينبعثان في فزع ووهـن.... أمـا الأنـف فكـان مطموساً بين بطيختين تسميان خدين، من تحتهما ذقن مـدبب يتصبب عرقاً زيتياً، وفيما بين هذه التضاريس حفرة قرمزيـة تسمى فماً !...

وأذهلني مرآها !.... أذهلني وقززني، حتى أنني لـم أستطع كتمان مابي مـن إشـمئزاز، ففطنـت "لـورا" إليـه، وصرخت في ثورة جائحة : (تأملني !....أنظر إلى وتقيـأ !.. أجل !.. هذه أنا... "لورا" بعينها، ألست تعرفني ؟... ها أنتـذا ترى ما طالما حدثتك عنه بلساني طوال الأسابيع الماضـية... وليس الوصف كالعيان !... فهلا رحمتني ؟ !).

فقلت لها بأقصى ما أستطعت من هـدوء: (أرقـدي... أرقدي يا "لورا" وحدثيني بكل شئ !).

وماذا تظن، بحق الأبالسة، أنني كنت أحدثك عنه طوال الأسابيع الماضية ؟.

تنشد الموت بالإسراف في الأكل !

◆ **وأشحت** عنها بوجهي كي أجلس على مقعدي خلف المكتب، ولكنها قبضت بيدين من حديد على معصمي، حتـى أنغرست أظافرها في لحمي، وأرغمتنـي علـى أن أواجههـا وأتلقى أنفاسها المثقلة برائحة الخمر، وعفونة الطعام المتخمـر والقئ، وهي تصرخ بي:

كلا، لن أرقد، بل سأقف هنا وأكرهك على التطلع إلـى وجهي، كي تراني كما أرى نفسي، فإنك تريدني على الرقـاد كيلا ترى سحنتي...ولكن بعداً لك ! لـن أوفـر عليـك هـذا الوبال، وسأقف هنا، بمعونة الشيطان، إلى الأبد !... إلى يوم الدين !

وترنحت، ثم سقطت فجأة على الأرض متداعية... ولم أكن قد خبرت حالة كحالة "لورا" من قبـل، ولا مـرت بـي أعراض كأعراضها... وتتلخص حالتها الغريبة في تعرضـها لنوبات من الضيق والإكتئاب والهبوط النفسي، تندفع خلالهـا في الأكل والشرب بإفراط، بنية قتل نفسها بالتخمـة... عـن طريق الإلتهام المتواصل لكميات غير معقولة من الغذاء، دون ما إستساغة أو تمييز بين الأصناف والطعوم، لأنها تكون ــ إذ ذاك ــ فريسة لقوى أعتى منها، لا تملك السيطرة عليهـا .... قوى تجعلها عاجزة عن الشبع، حتى تصل إلى الإعياء التـام، وتكف عضلاتها عن الحركة، وعن الإستجابة، فيقف فمها عن الإلتهام والمضغ، وتقف معدتها عن الإستيعاب، بل وتقف يدها عن حمل الطعام، وتضج أحشاؤها بالألم من كثرة ما إكتظـت به، وتفور دماؤها بالتسمم من هذه التخمة.

دوامة في أحشاء "لورا"

◆ ولــم أستطع أن أصدق حقيقة حالتها هذه، إلا حـــين رأيتها في ذروة إحدى تلك النوبات التي طالما حدثتني عنها !

إنها حالة تبرز لي من العدم.... ومن حيــث لا أدري ولا أحتسب، ولست أعلم لها سبباً ولامناسبة، بل هي تصيبني فجأة، وفي أي وقت، وأنا منهمكة في أي شئ... فبين طرفــة عين وإنتباهتها، أنقلب من المرح إلى التعاسة، ومن حب الحياة والناس إلى جحيم من اليأس والبغضاء، وأحسب أن المــسألة تبدأ بشعور بالخواء الداخلي، وبشرع شئ ما — لا أدري بماذا أسميه — في إيلامي، وكأن هذا الشئ يفغر فاه فغــرة تتــسع وتتسع كالدوامة داخل أحشائي، وينبض فراغها كالقلب الثائر، ثم تنتظم دقاته وتشتد حتى تغدو كالطبل المجنــون، وعندئــذ أحس بأن كياني كله قد إنقلب إلى فراغ يحتويــه أهــاب مــن الجلد... وهذا الفراغ يضج بدقاته الموجعة، التي تنقلب عــذاباً كعذاب النزع الأخير، فلا يبقى مني — أنا "لورا" التي تعهــدها

وأعهدها ويعهدها الناس ـ سوى فـراغ هائـل منهـوم !... وأندفع آكل وأشرب، وأشرب وآكل، والفراغ يزداد نهماً وألماً، كأنه التنور الذي لا يقول ـ مهما تمده بالوقود ـ ألا : "هـل من مزيد ؟!"... وأزيد ثم أزيد... كل شـئ، فلـيس للطعـم حساب، وإنما الحساب للفراغ الذي لابـد لـه مـن إمـتلاء، وهيهات أن يصل إلى الإمتلاء !.... فأنا وذلك الفـراغ فـي سباق مجنون ! كلما كلت يدي أو تعب فمـي، زادت الهاويـة إتساعاً، وأصابني الذعر.... فأندفع آكلة شاربة حتى الإغمـاء !... وما لم يصبني الإغماء، فإنني لا أكف عـن الأكـل، ولا تنتهي النوبة.... ولا أصل إلى الإغماء حتى تبلغ بي الخمـر والتخمة هذا الحد من التبدل والتورم، ومتـى بـدأ الإغمـاء، تحول إلى نوم يستمر يومين وليلتين... نوم محمـوم تكتنفـه الأحلام المفزعة... وهي أحلام من رحمة الله بي أنني لا أكاد أذكر منها شيئاً بعد صحوي !... وما أبشع هذا الـصحو !... إنني ـ إذ ذاك ـ لا أكاد أعرف نفسي في المرآة من الـورم

والقذارة، فكأني حلوفة خارجة من حمأة، فلا ملامح واضحة لي ولا قامة....

الوجه الثاني لـ"لورا" !

◆ **وكانت** قد إنقضت ثلاثة شهور من العمل التحليلي الشاق قبيل تلك المناسبة التي أطلعتني على الوجه الآخر لـ"لورا"... الوجه الذي عرفته من قبل وصفاً، فعرفته ـ في ذلك الصباح ـ مشهداً وخبراً، وكانت تلك الأشهر الثلاثة عاصفة بالنسبة لكلينا، فقد كانت "لورا" تبلل كل ساعة من ساعات الجلسات بالدموع، وتشعلها بالزفرات، وهي تحدثني عن أزماتها ونوباتها.

وبالرغم مما تعودته من سماع المآسي ـ بحكم مهنتي ـ فقد إستطاعت قصة "لورا" أن تهزني وتحرك أعماقي، فلم أكد أقدر على كتمان عطفي عليها، الكتمان الذي تتطلبه تقاليد عملي... ومن ثم فإنها إستطاعت أن تستشف من نظراتي وملامح وجهي الشفقة عليها والرثاء لها، وراحت تبالغ في

آلامها، حتى تستدر مزيداً مـــن شـــفقتي، وتقهـــر مقـــاومتي وجمودي...

وما ذكرة المنظر ــ الذي إفتتحت به هـــذه القـــصة ــ لطرافته الهامة فحسب، وإنما لأنه يختلف تماماً عـــن صـــورة "لورا" العادية، فيما بين النوبات، **فإن "لورا" العادية فتاة ليست بالثرية.... أجل، ولكنها شديدة التجمل في فقرهـــا، تحـــسن إختيار ثيابها إختياراً يبرز خير ما في تكوينهـــا وملامحهـــا،** والنظام الغذائي "الرجيم" القاسي الذي تفرضه على نفسها فيما بين النوبات، يحفظ عليها رشاقتها في مستوى ترضـــى عنـــه "الموضة"...أما وجهها الذي تحيط به هالة من الشعر الأســـود الفاحم فلعله ليس جميلاً، بيد أنه مقبول جذاب.

ماء وضحك ووقع أقدام !

◆ **وذات يوم إفتتح "لورا"** الجلسة بالشكوى المعتادة من الكوابيس التي تزحم نومها كل ليلة، وإن كانـــت تفـــصيلاتها تروغ من ذاكرتها... وكانت تستيقظ مروعة من كل كـــابوس،

وما أن يعاودها النعاس حتى يداهمها كابوس آخــر... وكلهـــا أحلام غامضة لاتخلف لديها سوى ذكرى غامضة، شـــوهاء، غير محددة المعالم، وإنما كانت تتـــوفر فيهـــا جميعـــاً ثلاثـــة عناصر، لا تغيب عن كابوس منها على كل حال : **العنـــصر الأول : الماء، على شكل موجات دافقة بطيئة الزحف تـــرتطم بها في لذع السياط... والعنصر الثاني: وقع الأقدام، الـــصادر عن أقدام خفية تلاحقها في كل مكان فتفر منها فـــي آروقـــة ودهاليز، وقد تتكاثر هذه الأقدام ـــ أحياناً ـــ فتغدو زحاماً من المطاردين غير المنظورين... والعنصر الثالث: الضحك، الذي يتردد في عواصف هستيرية صاخبة هازئة !**

ولقد سألتها: "ألا تتذكرين شيئاً عدا هذا ؟"

– لا شئ على التحديد عـــدا المـــاء، والمطـــاردة، والضحكات !

وساد الصمت، وقد عطت وجهها بيديها، ثم مرت بهما على جبهتها في بطء، وقد إبيضت مفاصــل أصــابعها مــن التشنج، وقالت : "إنني أتذكر الليلة التي غادرنا فيها أبي !"

وبدأت أسمع القصة :

كان المطر ينهمر، وقد رفعت أطباق العشاء عن المائدة لتوها، وجلست **"لورا"** وشقيقها **"مايك"** يستذكران دروسهما، أما **"فريدا"** الشقيقة الكبرى فكانت في المطبخ تغسل الأواني، وكان الأم المقعدة قد دفعت مقعدها المتحــرك إلــى حجــرة النــوم الأمامية لتصغي إلى المذياع...

وأنفتح الباب، فرفع الصغير عينيه.... وتلاقت نظراتــه بنظرات "لورا" في خوف... وقد بدأت خطوات ثقيلــة تجتــاز الردهة... وإنكبا على كتبهما يتصنعان الإنهماك في الدرس.

في ليلة عاصفة ...

◆ **وبعد** لحظة سمع الثلاثة زمجرة أبيهم وهــو يلقــى التحية، ثم رد أمهم... ثم صرير لوالب الفراش والأب يجلــس

فوقه، وصوت إرتطام حذاءيه الكبيرين بالأرض وقد خلعهما، وصر الفراش ثانية إيذاناً بنهوضه عنه، وسمعوا أمهم تقول له بصوت أشد إرتفاعاً من موسيقى المذياع:

– أه !... لست تشعر بالبرد !... طبعاً يا سيدي ! كيف تشعر بالبرد وقد ملأت بطنك بالويسكي ؟

– لا تفتحي هذا الموضوع يا "آنا" !... إنني متعب الليلة.

– متعب ؟ ومم ؟ ... ليس من العمل طبعاً !

– أغلقي فمك يا "آنا" ....!

وغادر حجرة النوم، فأقفلت "**آنا**" المذياع وتبعته بكرسيها المتحرك إلى حجرة المائدة، حيث كانت "**لورا**" وشقيقها، فرفعت الفتاة رأسها نحو أبيها وأبتسمت، وأنحنى وقبل خدها، فداعبت شعرات شاربة الخشنة وجهها، وأدارت رأسها رائحة الويسكي المنبعثة من فمه، ثم إنتقل الأب إلى "**مايك**" الصغير، فداعب شعرة بيده الضخمة، وما لبث أن

جذب مقعداً من مقاعد المائدة، وجلس هاتفاً: "فريدا!".. فأقبلت الأبنة الكبرى من المطبخ... وقال لها: **"ألا تحـضرين لأبيـك الشيخ شيئاً يأكله ؟**

فدفعت **"آنا"** مقعدها المتحرك إلى الفراغ الكـائن بـين المائدة وباب المطبخ ـ الذي وقفت في فرجته **"فريد"** ـ وقالت لزوجها: "ليس لدينا شئ لك، إن كنت تريد طعاماً فتعال إلـى البيت في وقت العشاء، فليس هذا مطعماً عامـاً !"... ولكـن الرجل تجاهل كلماتها، وخاطب **"فريدا"** مـن فـوق رأسـها: "أصدعي لما أمرت... هاتي لي عـشاء !"... بيـد أن أمهـا هتفت: "إنتظري !... لاتطيعيه !" فقال الرجل: "إخرسي !".

أب يهجر داره

◆ **ونظرت** إلى زوجها بحقد، وقد نفرت عروق وجهها وعنقها، وأرتعد جسمها النحيل، وأخذت تصرخ فـي وجهـه: **"لن أخرس..إنك لا تبالي بما يحدث لنا، لا تبـالي أن عـضنا**

الجوع أو آذانا البرد، فليس يعنيك سوى المومسات اللاتـــي تعطيهن نقودك!

- "آنا"... إن الأولاد يسمعون ما تقولين يا "آنا".

- الأولاد ؟!... أتظنهم يجهلون أي أب فاسد مــتعفن أنت ؟... أتظنهم يجهلون أين تذهب حين تغيب عن البيت ؟

فضرب المائدة بقبضته ووقف صائحاً: "كفـــى !.. لـــن أسمع كلاماً كهذا بعد.. إصـــمتي !" وأتجـــه نحـــو المطـــبخ، فأسرعت بمقعدها المتحرك تسد عليه الطريق، وهي تـــصيح: **"عندما تدفع ثمن الطعام يحق لك دخول المطبخ !"**

ورفع يده غاضباً، فأطلقت ضحكة قصيرة، وصـــاحت: "ماذا تنتظـــر ؟... إضـــربني !.. إضـــرب المـــرأة المقعـــدة !"...فجمدت يده في الهواء... وساد صـــمت إتـــضحت فيـــه ضربات المطر على زجاج النافذة، ثم قال الأب: "إذا لم تتنحي من طريقي، فسأغادر هذا البيت لغير عودة !"

- إذهب !... منذا الذي يريدك هنا ؟

فوقف جامداً كالتمثال برهة طويلة، ثم دار على عقبيـــه وإتجه بسرعة نحو حجرة النـــوم، تتبعـــه جميـــع العيـــون... وأدركت الزوجة أنه كان جاداً في وعيده، فلحقت به في غرفة النوم، ولكنه مضى يجمع ثيابه... وإنقلبت تـــستغفره، ولكنـــه غادر البيت لا يلوي على شئ....

"لوار" تبحث عن الحب

◆ **ولم يعد "مايك"** الأب بعد تلك الليلة، وكان بين الحين والحين يرسل بضعة دولارات... وفي عيد ميلاد **"لورا"** التالي لرحيله، بعث إليها بزجاجة عطر من "أتلانتك ســـتي" ولكـــن عينيها لم تقعا عليه بعد تلك الليلة.

وكانت دموع **"لورا"** تنهمر وهي تروي لي تلك القصة، فتركتها تمسح دموعها وتتمخط وأنا صامت، ثم نظرت إلـــى ساعتي، فقالت لي: "لم لا تقول شيئاً ؟...أظهر العطف علـــي الأقل !"... فسألتها: "نحو من ؟"

– نحوي أنا طبعاً !

– ولماذا نحوك أنت فقط ؟ وماذا عن "فريدا" و "مايك" الصغير، وأمك... وأبيك هو الآخر ؟

– إنك جامد القلب، ولن أعود إليك !

وخرجت على الفور... ولكنها عادت بالطبع، وواظبت على العودة أربع مرات في الإسبوع مدى سنتين كـــاملتين... وكان تقدمها في خلال السنة الأولى بطيئاً في حقيقته، وإن بدا عظيماً في مظهره، لأنها إنقلبت إلى التطـــرف فـــي الزهـــد والتقشف والإستقامة !... وأذكر أنها في الشهر الحادي عـــشر من جلسات التحليل، حصلت على مكانة رفيعة فـــي المتجـــر الذي تعمل به بسبب التغير الظاهري في أســـلوب حياتهـــا... حتى أن زميلاً لها في العمل راح يتودد إليها، فجاءت تقـــول لي:

– لا أريد أن أخدع هذا الشاب...إنك أعلم الناس بمدى أنانيتي ورغبتي في الإستحواذ على من أتصل بهـــم، ولكنـــي

أريد في هذه المرى ألا أكون كذلك...بل أريد أن تكون لي به علاقة حب موفقة !

– أتعنين أنك تفكرين في الزواج به؟

– إنما الذي أحلم بالزواج منه هو "بن"... أما هذا الشاب... فالذي أنشده منه حقاً، هو الحب... الحب الذي أهب من نفسي فيه بقد ما آخذ !

وأردفت قائلة: "ليس هذا على كل حال ما جئت اليوم للحديث فيه، فهناك حلم... رأيتني فيما يشبه قاعة الرقص، ولكني كنت أعلم أنها في الحقيقة مستشفى، ثم جاء رجل وطلب مني أن أخلع ثيابي كلها ــ حتى ورقة التوت ــ لأنه سيفحصني، ففعلت ما طلبه مني وأنا خائفة كل الخوف، وبينما أنا أخلع ثيابي، لاحظت أن هذا الرجل يصنع شيئاً بامرأة أخرى في أقصى الحجرة، وكانت المرأة راقدة وقد إنشبت في جسمها شتى أنواع الروافع والآلات الجراحية، وأدركت أنني سأكون التاليه لها في ذلك الوضع الغريب عندما يفحصني"

◆ وسكتت "لورا" برهة، ثم قالت: "وفجأة، ناداني الرجل، فوجدت نفسي أجري نحوه... وإذا الفراش قد صار خالياً... وأمرني أن أصعد إليه، فرفضت، وشرعت أصرخ وأبكي.ثم أخذ المطر ينهمر في قطرات كبيرة، فدفعني الرجل وأوقعني على الأرض، فأنقلبت فوق بطني وأخذت أصرخ حتى أستيقظت على صراخي، والآن، ما تأويل هذ الحلم؟"

– أنت تعرفين طريقة التأويل يا "لورا"... حاولي أن تربطي بين صور الحلم وخواطرك وذكرياتك !

– أول ما خطر لي هو "بن" لأن طبيب إمتياز في مستشفى الجامعة كما تعلم... ولكني رفضت أن يفحصني !

– ولم هذا الرفض ؟

– لأني نشأت أخاف الأطباء منذ طفولتي، إذ أخشى أن يؤذوني بحقنهم وإبرهم... ولا أحتمل أن يعبث أحدهم بجسمي...وأخال الأن بوضوح أن الجنس هو مصدر

خوفي... فالطبيب في الحلم هو "بن" وهذا الفحص الذي يطلبه مني هو في الواقع إتصال جنسي كالذي يحاول الظفر به أحياناً، ولكني أفزع وأنفر منه.

– ولكنك خبرت الأتصال الجنسي بالرجال، من قبل، كما إعترفت لي ؟

فبكت وقالت: "هذا صحيح، ولكني لم أكن أسمح لهم أن ينالوني بصورة كاملة إلا عندما لم يكن ثمة مناص من ذلك، حين أخشى أن يتحولوا عني!.. أما في سائر المرات فكنت أكتفي بإشباع رغبة الرجل من غير أن أحظى بإشباع رغبتي، وكنت أوثر أن يكون ذلك بإتصال خارجي حتى لايؤذيني كما تؤذى إبرة محقنة الطبيب التي يغرسها في الوريد !"

أصوات من مخدع أبويها

◆ وأخذت أستحثها على أن تتذكر ما ينم عن المرأة التي كان الطبيب يفحصها في الحلم، فقالت :"إن الفراش الذي

كانت ترقد عليه، كان أشبه بمقعد أمي المتحرك، ولكن لماذا كان الطبيب يفحص أمي ؟.. ما معنى هذا ؟"

- فكري يا "لورا" في معنى الفحص الطبي في ذلك الحلم.

- إنه يعني الأتصال الجنسي...آه، وجدتها ! إن الإتصال الجنسي هو الذي أقعد أمي وألزمها مقعدها المتحرك، أصابها بالشلل، وأظن ذلك هو ما أخشى أن يحدث لي من الإتصال الجنسي بالرجال... هذا ما في عقلي الباطن عن الجنس منذ الطفولة، ولهذا فأنا أفزع منه !

وعن طريق الأستجواب والتذكر، وصلنا إلى ربط هذه الفكرة الكامنة في اللاشعور، بحوادث طفولة "لورا" فلقد كانت في صغرها تستيقظ فزعة أثناء الليل على أصوات غامضة تصدر من فراش والديها، وتوحي لها بالرعب والألم، إذ كان عقل الصبية الصغيرة يعجز عن ربطها بمراسم الحب المألوفة للكبار، لا سيما أن حياة النهار بين والديها كانت شجاراً

متصلاً، ومن ثم فقد أخذت التأوهات الخافتة والضحكات والمداعبات تتجسم للطفلة في الظلام ألواناً من التعذيب الجسدي... وأرتبطت هذه الصورة فيما بعد الإتصال الجنسي عامة، وحينما أصيبت الأم بالشلل بعد سنوات، بط اللاشعور — لدى الفتاة — بين علة الأم وتاريخ الإتصال الجنسي بين أبويها، فتسسم عقلها الباطن بذلك الإرتباط، وأيقنت أن الإتصال الجنسي بالرجال، خليق بأن يؤدي بها إلى الشلل كأمها !

وإذ أوضحت ذلك إيضاحاً تاماً في نهاية الجسلة، ظهر له أثر واضح على "لورا" فتلاشت على الفور من رأسها فكرة الفزع من الإتصال الجنسي وعواقبه الوبيلة على صحتها.

وفي الجلسة التالية أقبلت "لورا" في موعدها مكتئبة واجمة، وبادرتني قائلة: "لا حاجة بي إلى أن أخبرك بأنني توجهت — بمجرد إنصرافي في المرة السابقة — إلى مسكن "بن" !... أعني إلى فراشه مباشرة !"

– لماذا تكلميني بهذه اللهجة يا "لورا" ؟

– لأني أكرهك.... فأنت الذي دفعتني بتـــأثيرك إلـــى ذلك، دفعتني إلى الأذى !

– أتسمين أذى أنك نمت في فراش "بن" ؟

– لن أكذب عليك، لقد شعرت بالمتعة لأول مـــرة فـــي حياتي، ولكنك أثرت ذكرى أمي في نفسي، فلم تفارقني طيلة يومين !

ولذت بالصمت كعادتي إلى أن هدأت ثورتها، وقـــدمت إليها سيجارة، فقالت: "من العجيب أنني كنت أتـــشبث دائمـــاً ببغضها، لأني كنت أعتبرها مسئولة عن رحيل أبي، وكنـــت أتغاضى عن الحقيقة، وأتناسى أنه كان عربيداً وزير نساء قبـــل أن تصاب أمي بالمرض الذي أقعدها، ولكني كنت أحب ذلـــك الرجل ــ أبي ــ حباً أضل عقلي وأطاش حكمي، ذلك لأننـــي كنت إبنته المفضلة، ولهذا أحببته وكرهت أمي لأنهـــا كانـــت تحاسبه على أفعاله، وبعد أن هجرنا أبي، تفننت فـــي إيلامهـــا

وتعذيبها إنتقاماً له منها، كنت أخطف من يدها طعامها، وأظل أحاورها في الحجرات — وهي تلاحقني بمقعدها ذي العجلات صارخة ضارعة — ثم أهرب هابطة السلم وأتركها تدق بيدها سياجه، ودموع القهر تنهمر من عينيها لعجزها عن الهبوط ورائي.... ثم تنفجر في ضحك هستيري، أظنه هو سبب ما يلاحقني في كابوس أحلامي من ضحكات غامضة المصدر !"

محاولة الإنتحار

◆ **وبعد** ظهر يوم من أيام الخميس، كانت "لورا" المريض الأخير في دفتر مواعيدي، وكنت أعتزم السفر إلى "نيويورك" في اليوم ذاته... وإذ علمت بأنني لن أعود قبل يوم الإثنين، تساءلت: "هل معنى هذا حرماني من جلسة السبت المعتادة ؟... إنني أكره أن تفوتين جلسة، لأنها أصبحت ضرورية لراحتي النفسية.... ماذا أفعل لو أحتجت إليك في غيابك ؟"

- تتصلين ببيتي، فيدلونك علـــى رقـــم تليفـــوني فـــي "نيويورك"...

وفي نهاية الجلسة ودعتني وفي عينيهـــا بريـــق غيـــر مألوف... وسافرت إلى "نيويورك"، فسهرت مع زميـــل لـــي نتناقش في بعض المسائل المتعلقة بالمهنة، ثـــم عـــدت إلـــى فندقي، وإذا بكاتب الإستقبال يبلغني رسالة فحواها أن علي أن أطلب رقماً معيناً في مدينة "بلتيمور" ودهشت عنـــدما صـــافح أذني صوت "لورا" عبر الأسلاك..فهتفت: "ماذا حدث يا "لورا" "؟

- كنت أحاول الإتصال بك مدى ساعات طويلة... فقد رغبت في أن أتحدث إليك عن شعوري..إنني خائفة...

وسمعت صوتاً يشبه البكاء....

وفي مساء يوم الجمعة، أويت إلى مخدعي في الفنـــدق مبكراً، إستعداداً لقضاء عطلة الأسبوع لأول مرة منذ ســـنوات

في "نيويورك"... إذا بي أتلقى نداء من زوجتي تدعوني إلـــى التعجيل بالعودة !

وعدت لأجد طبيباً بجوار فراش "لــورا" وقــد ربــط معصميها بالضمادات البيضاء... ففزعــت لفكــرة محاولتهــا الإنتحار بقطع شرايين يديها، ولكــن الطبيــب أكــد لــي أن المحاولة لم تكن جدية، إذ أن عمدت ــ بعد خدش معــصميها ــ إلى الصراخ، فأسرعت إحدى جاراتها لنجدتها.

وفي اليوم التالي ــ وهو يوم السبت ــ حظيت "لــورا" بجلستها في المستشفى، وإقتصرنا علــى دراســة محاولتهــا الإنتحارية التمثيلية، فأعترفت بأن هدفها كام إرغــامي علــى العودة من "نيويورك" بدافع من طبيعتها الأنانية التي لا تحتمل شبهة الإهمال أو الهجر !

الحيوان النهم يستيقظ في جوفها

◆ على أن محاولة الإنتحار كان أعمق من ذلك، فقــد كان الدافع إليها مزودجاً : الشق الأول منه إعادة تمثيل هجــر

أبيها للبيت، ولكن بخاتمة سارة في هذه المرة... هــو العــودة !.... وأما الشق الثاني لدافع الإنتحار، فهو التكفير عن آثــام مزعومة كانت تحس بأنها إرتكبتها فيما بين الثانيــة عــشرة والرابعة والعشرين من عمرها.

لقد أثار سفري إلى "نيويورك" ذكرى هجر أبيها لبيــت الأسرة، فخيل إليها أن محاولة الإنتحار كفيلة بــأن تردنــي إليها، ولعلها كانت تعتقد أن مثل هذه المحاولة ــ قبل عــشر سنوات ــ كانت كفيلة برد أبيها... لو أنه علــم بمرضــها أو قرب موتها !

وتماثلت "لورا" للشفاء بسرعة، وعادت لجلساتنا وهــي أكثر إتزاناً، وكأنما الموت الذي واجهته مواجهة واقعية قد رد إليها صوابها، وزودتنا إعترافاتها في تلك الفترة بمادة طيبــة للتحليل خلال الأشهر التالية... كما أن "لورا" ذاته غدت شديدة الإستقامة، عفة اللسان، محافظة، رصينة !

وأستمرت الحال على هذا المنوال عـدة أسـابيع، لـم تتخلف فيه الفتاة عن جلسة واحدة... وظللت حائراً لا أهتـدي إلى سر دائها الأصلي: داء الجوع الجنوني الذي كان يستولي عليها.

وفي ذات يوم، تخلفت "لورا" عـن موعـدها، دون أن تعتذر، وحاولت ممرضتي الإتصال بها تليفونياً — في بيتها — فلم تتلق رداً، وفيما كنت في البيت سمعت التليفون وأنـا فـي الحمام، فلما خرجت علمت من زوجتي أنها رفعت المـسماع فلم تتلق سوى زمجرة غامضة، ثم ساد الصمت...

وعلى مائدة العشاء غشيني شعور بالقلق، رغم وجـود أصدقاء في ضيافتي في تلـك الليلـة... وفجـأة رن جـرس التليفون — ونحن نحتسي القهوة — فقفـزت إليـه، وسـمعت صوتاً حيوانياً، ينبعث من الحلق، لم أسمع لـه نظيـراً فـي حياتي، وكانت مقاطعه غير مفهومه: "لو....لـو....".فهتفـت وقد إستنتجت إسم محدثتي: "لورا ؟... إين أنت ؟".

- **في .... البيـــ...ت.**

- ماذا بك ؟... ماذ أصابك ؟

- آ**....كل !**

- منذ متى وأنت تآكلين ؟

- **لست أدري... فرغ الطعام... جائعة...!أدركني !**

ثم سمعت مسماعها يسقط، ولم أتلق على ندائي المتكرر جواباً، فأسرعت إلى دراها... وعبثاً طرقت الباب، فحاولـــت أن أدفعه، ولكنني لم أفلح، فوضعت فمي على ثقـــب المفتـــاح ورحت أناديها... وأخيراً سمعت ما يشبه البكـــاء، وصـــوتها تقول: "إنصرف .... إذهب عني !"

"لورا".... بين الحيوانية والأمومة

◆ **ولكنها** فتحت الباب أخيراً !

ودخلت الحجرة، لأرى أعجب مستودع للقمامة : فتات، وفضلات أطعمة على الأريكة والبساط والوسائد والمقاعد...

ورحت أقاوم الغثيان، ثم إقتحمت حجرة النوم ــ التي إختفت **"لورا"** بداخلها ــ وتحسست الجدار حتى عثرت على زر المصباح... ورأيت فراشاً كدست فوقه فضلات الطعام، وكأنه صندوق قمامة آخر، وفي ركن من الحجرة رأيت **"لورا"** مكومة على الأرض، وقد غطت وجهها، فمددت إليها يدي وقلت: "هيا يالورا، قفي على قدميك !"... ولكنها لم تنهض، فحملتها على الوقوف حملاً، ونزعت يديها عن وجهها ورأيت **منظراً لن أنساه ما حييت... رأيت شيطاناً رسم آثار الرذيلة والإنحطاط والشراهة على لحم ذلك الوجه المتورم، وكأن البهيمية كانت تطل من كل مسام تلك السحنة !**

وفجأة، فطنت إلى قميص النوم الواسع الذي تمسكه إلى كتفيها حمالتان من الحرير... كان القميص أبيض اللون، ناصع البياض – في الأصل – فلطخته البقع والأوضار، ولكن ذلك لم يلفت نظري، وإنما إستوقفني ذلك البروز الفظيع تحت خاصرتها، وكأنها حبلى في شهرها السابع على الأقل !... وشهقت غير مصدق، ثم إمتدت يدي لا شعورياً إلى ذلك الموضع، فلمست أصابعي ليونة غير متوقعة، فرفعت عيني متسائلاً إلى عينيها، فلاحت على سحنتها المقلوبة مخايل إبتسامة، ثم فتحت فمها وأقفلته لتقول:

– **جنين....**

– جنين ؟ إبن من ؟

– **إبن "لورا"... أنظر !**

ثم رفعت ذيل قميصها رويداً في حركة الثمل المترنح، إلى أن صارت يداها فوق رأسها، ونظرت إلى جسدها العاري، إذا بي أرى وسادة مربوطة إلى بطنها !...

ثم أرخت ثوبها، وسوت موضع الوسادة بيديها.... ثـم غطت بهما وجهها وأنفجرت باكية وهي ترتمي على فراشـها القذر: "أريد طفلاً !"

ولم تلبث أن إستغرفت في نـوم عميـق، فأسـتدعيت ممرضة خاصة للعناية بها وأنصرفت.

وكان واضحاً أن رغبة "لورا" العارمة هي إنجاب طفل، وأن الشعور بالخواء، الذي يحملها على أن تملأ بطنها بالأكل والشراب، هو شعورها بخلو أحشائها من جنين... والأمومة رغبة أنثوية طبيعية، ولكن لماذا إتخذت الرغبة لدى "لـورا" هذه الصورة الملتوية ؟

وظل السؤال حائراً في ذهنـي، إلـى أن قـدمت لـي مريضتي الجواب ــ بعد شفائها في نهاية الأسـبوع ــ بفلتـة لسان: كنا في عيادتي نبحث معاً عن مغـزى تحليلـي لـذلك اللغز، ونستعرض المنظر، وإذا بي أسألها: "أهـذه أول مـرة تقدمين فيها على هذه التمثيلية... تمثيلية الحمل والأمومة ؟"

فقالت بتردد: "لست أدري... لعلي أقدمت عليهـا مـن قبل، وربما أيضاً أكون قد أقصيت الوسادة قبل إنتهاء النوبـة، وكأنما حدث لي إجهاض، ربما!.. يخيل إلى أن شيئاً من هـذا حدث لي منذ سنتين، ولكني نسيت !"

فقلت مازحاً، أخفي إرتباكي وحيرتي: (نقبي في أرجاء مسكنك، فربما وجدت "طفلاً" إحتياطياً مثل "العجلة الإحتياطية" في السيارة !) وأجابت مازحة بدورها: **(لا أظن.... أحـسبني جديرة بأن أحظى بمعاونة "مايك" في كل مرة أحبل فيها !).**

ثم صرخت ووضعت يدها على فمها مذعورة... لقـد نطقت بأسم أبيها **"مايك"** بدلاً من أسم **"بن"** حبيبها !

وأنبلجت العقدة الملعونة: **عقدة عشق الفتاة لأبيهـا، فقـد كانت في سريرتها الباطنة تشتهي أن تنجب له طفلاً، ولما كـان هذا مستحيلاً، فقد راحت تـشعر بـأن الفـراغ سـيظل كائنـاً بداخلها.... وكان هذا الفراغ يؤلمها، فتجنح إلى ملئـه بالأكـل**

والشراب، وهو يأبى أن يمتلئ...لأنه مستحيل الإمــتلاء، بحكــم التحريم الذي يحول بين الفتاة ومعاشرة أبيها جنسياً!

— تمت —

جهاز كشف الكذب

كذاب....!

جهاز كشف الكذب .. كذاب !

بقلم: جيمس بولينج

منذ ظهر جهاز كشف الكذب وهو يستخدم بنجاح كسلاح مفيد في الحرب ضد الجريمة.. ولكن هذا الجهاز أثبت أنه نقمة أكثرة منه نعمة عندما إستخدمته بعض الشركات لإرهاب موظفيها.

منذ وقت قريب رفضت بائعة كانت تعمل في متجر للتبغ بولاية "إيلنوي" ظل سجلها نظيفاً طوال ست سنوات من الخدمة، أن تقبل ــ كمسألة مبدأ ــ أن يجرى لها إختبار بواسطة جهاز إكتشاف الكذب، وكانت التهمة التي وجهت إليها أنها قد أنقصت دولاراً من قيمة المبيعات الكلية، ولكنها أصرت في إزدراء أنه إذا كان ذلك قد حدث فعلاً فلابد أن يكون قد حدث بطريق الخطأ... وقد فصلت من عملها لرفضها إجراء الإختبار عليها.

– هناك متجر للأحذية على الشاطئ الشرقي للولايات المتحدة – يقوم بإختبارات دورية على موظفيه بواسطة جهاز إكتشاف الكذب – ليظلوا أمناء – وقد أجرى إختباراً لبائعة كانت قد فقدت لتوها طفلها الوحيد، ونظراً لأن ردود أفعالها لم تكن طبيعية، فقد فصلت من عملها.

إن أمثال هذه الحوادث، التي أخذ يزداد وقوعها في الولايات المتحدة تجعل الغيورين على الحقوق المدنية، والمشرعين، والعلماء، وفقهاء القانون ينظرون نظرة قاسية إلى الدور الذي يقوم به جهاز إكتشاف الكذب في حياة الأمريكيين، ومع التسليم بالمساهمة الحقيقية التي يمكن أن يقدمها هذا الجهاز الإلكتروني في بعض التحقيقات الخاصة بالجرائم والأمن، فإنهم يتساءلون : هل يجب أن نسمح لجهاز إكتشاف الكذب – الذي لم يتطور بعد بما فيه الكفاية، والذي يستعمله في أغلب الأحيان أناس غير مدربين جيداً – أن يقرر ما إذا كان شخص يحصل على عمل ما – أو يحتفظ به ؟

هل تحب زوجتك ؟

إن ألافاً من المستخدمين طالبي الزواج يطلب منهم الآن أن يخضعوا للإختبار بوساطة جهاز إكتشاف الكذب، وهناك أكثر من (١٥٠) وكالة خاصة لإكتشاف الكذب تمارس هذا العمل في الولايات المتحدة ـــ هذا العمل آخذ في النمو السريع، ففي العام الماضي قامت شركة "التحقق من الصدق" في مدينة "دالاس" بولاية "تكساس" بأجراء (٣٥,٠٠٠) إختباراً مقابل (٢٦,٠٠٠) إختباراً في عام ١٩٦٤م.

الأقطاب الكهربائية والأساور المطاطية !.

يعمل جهاز إكتشاف الكذب ـــ الذي يشار إليه فنياً بإسم "بوليجراف" على إفتراض أن الشخص الكذاب يكشف عن أثمه من خلال إنفعالات جسمانية محسوسة، وهناك قطبان كهربائيان يثبتان بيد الشخص موضع الإختبار، يقومان بقياس إزدياد سريان التيار الكهربائي خلال الجلد عند إزدياد العرق، بينما تقوم أنبوبة من المطاط المضلع تحيط بالصدر بقياس

التغيرات التي تطرأ على التنفس، وتقيس أسورة من المطـــاط المنفوخ تلف حول الجزء الأعلى من الـــذراع ضـــغط الـــدم وتقلبات النبض، بينما تسجل أقلام على ورقة متحركة للرسوم البيانية الإرتفاعات والإنخفاضات في المعدلات المختلفة عنـــد كل سؤال (ومن هنا جاء إسم "بوليجراف" ومعنـــاه باليونانيـــة الكتابات الكثيرة).

وقد تم إنتاج هذا الجهاز في العشرينات بمعرفة **"ليونارد كيلر"** و **"جون لارسون"** وهما عالمان شابان من علماء النفس كانا يعملان بقوة بوليس "باركلي" بولاية "كاليفورنيا".

ماذا يستطيع أن يفعل وما لا يستطيعه ؟

لقد سجل كاشف الكذب إنتصارات عديـــدة تقـــف فـــي صفه، ففي عام ١٩٦٤م مـــثلاً إكتـــشفت إحـــدى الوكـــالات الفيدرالية الحساسة عن طريق أدلة كشفت عنهـــا إختبـــارات كشف الكذب، أن سبعة من المتقدمين للعمل بها إجتازوا بنجاح كل الفحوص الخاصة بالأمن ــ كانوا أعـــضاء ســـابقين فـــي

الحزب الشيوعي..وفي عام ١٩٦٥م، أطلق سراح متهم بالقتل في "نيويورك" بعد يومين من الإختبارات الدقيقة بواسطة جهاز الكشف عن الكذب ساعدت في إثبات براءته.

وبعد أن فصل كثير من الصرافين بأحد بنوك "شيكاغو" بسبب العجز المستمر، سرى الشك في قلب مدير البنك، وطلب إجراء إختبارات لكل الموظفين بواسطة كاشف الكذب، وقد أشارت الإختبارت إلى براءة الجميع ماعدا مراجعاً للحسابات أعترف بأنه إختلس (٢٢,٠٠٠) دولار، وأنه كان يفصل الصرافيين لكي يغطي هذه السرقات.

ولكن كاشف الكذب فشل في كثير من الحالات أيضاً، فقد وجد أن أثنين من موظفي وكالة الأمن القومي — وهي منظمة تمارس أعمال المخابرات الحربية للولايات المتحدة والإتصالات ذات السرية البالغة — جديران بالحصول على معلومات شديدة الأهمية، ثم هرب كلا الإثنين إلى "موسكو" !...

وعقب سرقة كبيرة وقعت في مكاتب شـركة شـهيرة بولايـات الغـرب الأوسـط، بـرأ الجهـاز إثنـين مـن الموظفين...إعترفا بالسرقة بعد ذلك !.. وكان كاشف الكـذب مسئولاً إلى حد كبير في عام ١٩٦٣م عن إتهام طيـار فـي "أيداهو" بقتل جارة له وإبنتها، ثم إكتشفت سلطات البوليس بعد ذلك بشهور أن عاملاً متجولاً هو القاتل الحقيقي.

فما هو السبب الذي يكمن خلف هذه التناقـضات ؟ إن الذين يقومون بالدعاية التجارية للجهاز يزعمون أنـه دقيـق بنسبة ٩٥% ولكن لجنة "موس" لم تجد دليلاً علمياً يؤيد مثـل هذه الإدعاءات، وقد وجد العلماء بصفة عامة أن دقته لا تزيد على نسبة تتراوح بين ٧٠ و ٨٠% وتقـول إدارة مخـابرات البحرية الأمريكية : "إن درة الدقة التي تصل إلى ٧٠% هـذه تعتبر متفائلة جداً" بينما يقول مدير مكتب التحقيقات الفيـدرالي "**إدجار هوفر**" بصراحة : "إن كاشف الكذب ليس من الدقة إلى الحد الذي يكفي لإصدار حكم مطلق بالذنب أو بالبراءة".

والحقيقة أن هناك مؤثرات عديدة يمكن أن توحي بعلامات على ورقة الرسم البياني مماثلة لتلك العلامات المتعلقة بالكذب، إذ يمكن على سبيل المثال أن تنتج رسماً بيانياً يدعو للشك إذا كنت في حالة خوف من ألا يصدق كلامك، أو إذا كنت في حالة غضب بسبب إضطرارك لقبول الإختبار، أو كنت تخشى أن تفقد عملك بسببه، وهناك إحتمال بأن الأسئلة التي تتعلق بشئون الجنس قد تلوث إختباراتك، كذلك يستطيع القائم بالإختبار الذي يستخدم وسائل التخويف أن يرفع ضغط دم الشخص البرئ، كما يمكن أي عدد من الأمراض أن الإضطرابات العضوية إبتداءً من إضطرابات التنفس والإرهاق الشديد، إلى السكر وألم الأسنان العادي، أن يغير الرسومات المسجلة.

وحتى لو كان قد حدث تحسن كبير في أجهزة كشف الكذب والعاملين عليها، فلا يزال السؤال الأساسي هو هل هناك مبرر أخلاقي يبيح إستعمال الجهاز لإنتهاك الحياة الخاصة للشخص الذي يبحث عن عمل ؟

إن كل العلماء الذين أدوا الشهادة أمام لجنــة "مــوس" أيدوا الموقف الذي إتخذه أحد العلماء النفسانيين، الذي وصـــف إستخدام الآلة كشرط للتوظف بأنه أمر غير جائز ومهين.

تمت

٧ خطوات

لحريتك الشخصية

٧ خطوات .. لحريتك الشخصية

بقلم: فانس باكارد

هل أنت حر بحيث يكن أن تعيش بالطريقة التي تريدها ؟ أم أنك تشعر في بعض الأحيان بأنك في ضيق لا تجد منه مخرجاً، عاجز عن الحركة، تساورك خيبة الأمل ؟ وهل تضطر لأنفاق جانب كبير إلى حد غير معقول من حياتك في عمل أشياء لا ترغب في عملها ؟ هل تتوق إلى أن تكون شخصاً آخر أكثر حيوية وفعالية مما تعتقده فيك ؟

إذا كان الأمر كذلك، فإنك لست وحدك في ذلك فأكثرنا يشعرون بوطأة الزحام في حياتنا كلما أقمنا في مجتمعات أكبر، وعملنا من أجل منظمات أكبر، وأثناء قيامي بالأبحاث الخاصة بالكتب الخمسة التي ألفتها عن الضغوط التي تهدد الحرية الشخصية اليوم، وجدت أننا نواجه ضغطاً متزايداً للإمتثال لكي نتسلق أهرامات العمل وتحقيق وضع إجتماعي، وأننا معرضون بإستمرار إلى محاولات لتعديل آرائنا والتدخل

في حياتنا الخاصة، وقد سألني كثير من القراء : "ماذا نستطيع أن نصنع للإحتفاظ بالحرية في مجتمعنا ؟".

وليس في إستطاعتنا كأفراد أن نكون أحراراً حقــاً إلا عندما نكون مستقلين بالقدر الكافي، وأقوياء ذوي تأثر في حقنا الخاص لأن نصبح أشخاصاً يحسب حـسابهم... وهــذا هــو الطريق أيضاً إلى رضى الفرد عن نفسه في الحياة لأن الحرية مع المسئولية هي الأساس السليم الوحيد للسعادة الشخصية.

فماذا يستطيع كل منا إذن أن يفعلــه لتــدعيم الحريــة الشخصية ؟... هاهي سبع طرق للعمل تستطيع أن تتأمل فيها:

١ــ إدخر المال:

يفكر الكثيرون منا فــي الإدخـــار علـــى أنـــه تـــأمين للشيخوخة. ولكن هناك عملاً للمال أكثر أهمية، وهـــو تـــدعيم إستقلالنا في الوقت الراهن فإن أسراً كثيرة لا يمكنها أن تعيش غير أشهر قليلة من الإفلاس، ومن الجلي أن الرجل الــذي لا

يستطيع إحتمال التعطل من العمل بضعة أشـــهر، لا يـــستطيع إحتمال ترك وظيفة تجعله يشعر بأنه متختنق أو مذنب.

وقد أصاب هذا الشعور الخانق بالذنب، مدير المبيعـــات في دار للطباعة كان يتقاضى مرتباً حسناً، ولكنه كان يعـــاني من صداعات اليمة لأنه كان يحصل علـــى معظـــم الطلبـــات المقدمة إليه من وكلاء مشتريات ينتظرون منه خـــصماً فـــي الثمن كانت مؤسسته تكفله بطريقة مقنعة، وهو ما كان يضايقه بشدة... وقد حثته زوجته التي تدبر دخله، على ترك الوظيفة، فأحتج قائلاً : "ولكن ماذا عساي أن أصنع؟" فأخبرتـــه بأنهـــا إدخرت مبلغاً كافياً في سندات حكومية، وفي حساب في البنك يكفيهما عاماً حتى يبدأ من جديد.

وإنتقلا من البلدة وأستقر في عمل كان فيه سيد نفـــسه، لبيع الأجهزة المنزلية، وكان يعيش في بحبوحة عندما قابلتـــه، وقال لي : "لم أشعر بالصداع طوال عـــشر ســـنوات، وذلـــك بفضل حسن تدبير زوجتي كما تعلم".

وعرفت أسرت تعاني العسر المـــالي، وكـــان الـــزوج والزوجة والأبن المراهق جميعاً مدخنون... وذات ليلة، عندما كان الزوج يزمجر من متاعبه المالية، ذكرت لـــه أن جـــزءاً كبيراً من دخله، على مايبدو يضيع في التدخين، فقد كان مبلغ الستين قرشاً الذي ينفقه يومياً على التـــدخين، يكلفـــه حـــوالي (٢٠٠) جنيه سنوياً، فإذا أودع هذا المبلغ فـــي بنـــك بفائـــدة لأصبح أكثر من (٤٥٠٠) جنية بعـــد خمـــسة عـــشر عامـــاً. وأقلعت الأسرة عن التدخين.

٢ - دعم تعليمك ومهاراتك:

إن الحرية الشخصية يمكن توســـيع نطاقهـــا بـــالتعليم والمهارات لأنهما يفتحان مـــدى أوســـع للفـــرص المهنيـــة، فالمعرفة شئ قيم ملموس، وكثيراً ما تكون أهم أداة في علمنا، وكلما إكتسبت معرفة يمكن إستغلالها إزددت حركة، لأنهـــا لا يمكن أن تنتزع منك، فهي الأداة التي تحلمها في رأسك أينمـــا كنت.



٣- إحتفظ بشرفك طاهراً:

للإحتفاظ بالحرية، يجب علينا أن نقلل من مواطن ضعفنا الشخصية، لأنها تجعلنا عرضة للهجوم والإنتقاد... ومن الحقائق الثابتة، أن الأنسان المستقيم هو أكثر الناس إحتمالاً على الجرأة في قول الحق.

إن أعمالنا المريبة أو الحمقاء في الماضي، أكثر أحتمالاً لأن تطاردنا في عالم اليوم، مما كانت تفعل في السنوات الماضية... ومع نمو منظمات حفظ السجلات الكبرى وبنوك الذاكرة الإلكترونية، وهيئات التحريات المنتشرة في الحكومة ودور الأعمال على السواء، فإن الفرصة قليلة للتغاضي عن حماقة الماضي ونزقه.

٤- إحتفظ بأسرار حياتك الخاصة:

إن الحياة الخاصة تكمن في صميم فكرتنا عن الحرية، وهي أول شئ يختفى إذا ما أختفت الحرية، والحياة الخاصة اليوم في خطر.

فماذا نستطيع أن نفعل في هذا الشأن ؟ في إســتطاعتنا أن نحتفظ بما بقى لنا من حياة خاصة، بدلاً من أن نتخلى عنها كما يفعل الكثيرون ... وقــد قــال الــشاعر "**رالــف والــدو إيمرسون**" : (يجب أن تكون الحياة الخاصة لكل إنسان مملكة أكثر جلالاً من أية مملكة أخرى) ....إن الأنسان ذا الشخصية الإصلية يحتاج إلى حياة خاصة كحاجته إلى حيــاة عامــة — ليكون إنسان قائماً بذاته — ويحتاج الشباب إلى العزلة ليحلموا ويخططوا، وليكتشفوا حقيقة أهدافهم، وأشار "**أرثر شــليزنجر**" في ترجمته لحياة الرئيس "**جون كنيدي**" إلى تصميم "**كنيــدي**" الحازم على الدفاع عن فترات عزلته، لأنها كانت تسمح لذاته الباطنية بأن تنضج وتبلغ ذروة النضج الواثق الحر، ولتجديــد وإشباع ذاته العامة.

٥- لا تهب حياتك لهيئة واحدة إلا إذا أمكـن منحهـا بإخلاص:

يعمل أكثرنا اليوم داخل منظمت كبرى لا نسيطر عليها شخصياً، ومن المشاهد المحزنة في عصرنا هذا، ذلك العـدد الكبير ممن يشعرون بأن أمثال هذه المنظمات قد إبتلعـتهم أو إمتصتهم وقد تجعلهم طبقات السلطة الكثيـرة المحيطـة بهـم يشعرون بعدم أهميتهم... ومشكلة التخطيط والإختيار الفردي، لأن الكثيرين لا يخططون لحياتهم العملية بل ينساقون فقط مع التيار ثم ينتفعون بأقصى ما يمكن الإنتفاع به مـن أي عمـل يحصلون عليه، ولكن الحياة مسألة إختيارات، والحريـة هـي إختيار ما تريده منها لنفسك... ويجب علينا جيمعـاً أن نقـدر إحتمال الحرية في أي عمل مهم ويجب علينا — من الناحيـة المثالية — ألا نعمل إلا من أجل الأشياء التي نؤمن بها فقط.

٦- إصنع لنفسك نفوذك:

إنني أضطر للسفر أكثر مما أحب، وأجد صعوبة في الإحاطة بمشكلات بلدتي، وهناك لحسن الحظ في جيرتي رجل أعمال يصبح دليلي في بعض الأمور كتغيير القوانين المحلية للبناء، أو إعادة النظر في مناهج التعليم الثانوي — ويوجد رجال وسيدات مثل هذا الرجل في كثير من الأحيان — وقد وجد أستاذ العلوم السياسية "**جيمس ماك جريجور بيرنز**" أن نسيج الزعامة ينتشر خلال المجتمع، وهو يدرج في هذا النسيج، الجار الذي يبدو أنه على علم تام بأنواع كثيرة متعددة من المسائل، والجد الذي لا يزال يبسط نفوذه على عائلته بأسرها، والرجل الواسع المعرفة، الذي يشاطر آراءه الذين يركبون القطار معه إلى العمل... كل هؤلاء زعماء، وكلهم قوي التأثير لأنهم موضع ثقة وليس لديهم شئ خاص "للبيع".

ويعتمد النهج الديموقراطي على هؤلاء الملايين من زعماء الرأي، وقد لاحظ خبير العلوم السياسية "**حنا أرنت**" أن

الطغاة لا تأثير فعالاً لهم إلا على الأشخاص الذي يعتزل كـل منهم الآخر... ومن أول ما يعني به الطاغية هو تحقيق هـذه العزلة، حتى يشعر الناس بأنهم ضعاف عاجزون عن العمـل في وفاق ووحدة... وحيثما وجد نسيج التأثير، لا يوجد إنسان صفراً معزولاً... وكل من يصبحون منا زعمـاء رأي عـن طريق مداومة الإطلاع وإتخاذ قرارات تتسم بالمسئولية، إنمـا يخلقون بذلك سلطة الحرية... ويفكر الناس مرتين قبل دفع أي زعيم رأي إلى الأمام.

كيف تصنع نسيج التأثير ؟.. إنك تـصنعه بالإتـصال بالناس وإقتسام إهتماماتك مع الأخرين، وبالتأكيـد مـن أنهـا إهتمامات حسنة الإطلاع والتوازن وإذا مضيت في إكتـساب المعرفة، وغرست روح حسن الحكم على الأمـور فلابـد أن تؤثر آراؤك على الأخرين، وعندما يحتـرم الأخـرين آراءك فإنك تزداد قوة.

٧- إخلق حباً للمسئولية الشخصية:

إن أعظم طريقة إلى الحرية الشخصية هو العمل على تحديد القوى التي تحددك... كن نشيطاً ! وتحمل المسئولية ! فهذا لا يعني مجر الإدلاء بصوتك فحسب، بل يعني أيضاً العمل في سبيل الأشياء التي تؤمن بها... وإذا لم تفعل، فإنك إنما تسلم مصيرك إلى الآخرين الذين يعملون... فأي الجماعات التي تزاول فيها نشاطك هي التي تجعل هذا المصير أفضل ؟ أم أنك تتركه للحكومة ؟ وإذا كان الأمر كذلك فقد يهمك أن تعرف ما كتبته مؤرخة اليونا المشهورة "**إيديث هاملتون**" عن إنهيار "أثينا"... قالت : "عندما أصبحت الحرية التي كانوا يتمنونها هو التحرر من المسئولية، فقدت "أثينا" حريتها، ولم تعد حرة بعد ذلك قط".

والحقيقة أن هناك الشئ الكثير الذي يستطيع أكثرنا القيام به كأفراد لزيادة حريتنا، ففي إستطاعتنا مقاومة القوى التي تذلنا، وفي إستطاعتنا تحصين أنفسنا بالصفات والظروف

التي تنمي حريتنا الشخصية... وإذا فعلنا ذلك فإننـــا سنـــساعد على خلق بيئة أفضل للحرية من أجل المجتمع.

تمت

ليلة في بومباي

قصة مصرية

بقلم : محمود البدوي

ليلة في بومباي

قصة مصرية

بقلم : محمود البدوي

رجع "كمال" إلى مكتب شركة السياحة هو شاعر بالضيق، فهو لم يكن راغباً في أن يقضي الليل في هذه المدينة الخانقة الأنفاس... كان حرها لا يطاق، فكان "كمال" يحس ــ مذ بارح الطائرة ــ كأن جلده يلسع بالنار... وكان العرق الغزير اللزج يلصق بذلته وقميصه بجسمه، فيضاعف هذا من عذابه وتوتر أعصابه !

لقد حدث خلل في محرك الطائرة التي كان يركبها إلى "بانكوك" فأنزلوه منها مع بقية الركاب حتى يصلح العطب... فلما لم يتم الإصلاح على الوجه المرجو، أضطروهم إلى قضاء الليلة في "بومباي" ريثما تأتي ــ في الصباح التالي ــ طائرة أخرى تابعة لنفس شركة الطيران، فتقلهم إلى غايتهم.

وركب "**كمال**" سيارة الشركة إلى الفندق الذي إختـــاروه لهم، فوجد أنهم حجزوا له غرفة مشتركة مع شخص لم يكـــن يعرفه.... وأبى على نفسه هذا الوضع، فرجـــع إلـــى الفتـــاة الموكلة بمكتب إستعلامات الشركة، ليعلن سخطه.

ونظرت إليه الفتاة بإبتسام وقالت برقة:

- سأبحث لك عن غرفة أخرى...

وأخذت تتصل بفندق "تاج محل"... ثم قالت:

- **آسفة... لا يوجد في "تاج محل" سوى الغـــرف الثلاث المحجوزة لكم....**

- ولكني لا أنام مع شخص لا أعرفه...أرجـــو أن تبحثي لي عن غرفة في فندق آخر... على حسابي..

وأقلبت على التليفون تتصل بالفنادق الكبيرة في المدينة لمدة نصف ساعة، ثم نظرت إليه باسمة وقالت:

– آسفة، لا توجد أية غرفة... أننا في موسم الأعياد و "بومباي" مزدحمة بالوافدين.

– **إذن سأبيت هنا....**

فقالت ضاحكة: "إن المكتب سيغلق بعد ساعة"

– هذا أدعى للإطمئنان، إذ أنني سأنام والباب مغلق...!

وعادت الفتاة تضحك، ثم خرجت إلى وسط القاعة... وبدت طويلة ملتفة العود... ودخلت فتاة أخرى – في تلك اللحظة – فسلمت على موظفة الشركة.... وأخذت تتبادل معها الحديث...

وأخذ "كمال" ينظر إلى الفتاة الجديدة...كانت ترتدي سارياً أصفر جميلاً، على قوام طويل لدن... وكان شعرها أشقر غزيراً، وعيناها خضراوين في صفاء ورقة... أما قدماها فكانتا في خف يبرز أصابع القدم الصغيرة...كانت كلها تبدو أجمل ماتكون فتنة!

وتحدثت الموظفة معها بالهندية قليلاً، ثم عادت إلى التليفون، حتى إذا وضعت المسماع، قالت وهي تنظر إلى "**كمال**":

– مس "**شاري**"... أعرفك بالسيد "**كمال**" من ركاب الطائرة "النسر" التي تعطلت عن السفر الليلة...

ومد "**كمال**" يده مصافحاً... وأستطردت الموظفة:

– وما دمت ذاهبة إلى البيت يا "**شاري**" فأرجو أن تأخذي معك السيد "**كمال**" إلى فندق "وندسور"... فقد حدثتهم الساعة ليحجزوا له غرفة...

وقالت مس "**شاري**" وهي تنظر إلى "**كمال**" برقة : "تفضل !"

وركب بجانبها في سيارتها التي إنطلقت تتهادى في الشارع، ولاحظ "**كمال**" أنها تتخذ الجانب الأيسر من الطريق، فسألها: "هل أنت إنجليزية ؟"

– لا، إنني هندية.... والدتي إنجليزيـــة... ولمـــاذا خمت هذا ؟

– لون شعرك.... وعيناك....

– هل أنت ذاهب إلى "دلهي الجديدة" ؟... ســـتجد الجو مختلفاً والمدينة أشد روعة...

– إنني ذاهب إلى "بانكوك"

– أوه !.... سترى أجمل الفتيات في "سيام"...هـــا قد إقتربنا من الفندق...

ونزلا من السيارة... ودخلا الفندق، فسر "**كمـــال**" مـــن فخامته، وبهاء قاعة الإستقبال، وصـــافحت وجهـــه طـــراوة إمتصت العرق، فشعر بالإرتيـــاح وأدرك أن القاعـــة مكيفـــة الهواء...وأخذت "**شاري**" تتحدث مع مكتب الإســـتقبال، مـــدة طويلة... ثم عادت تقول له : "أسفة... ليست هنـــاك غـــرف خالية... لقد إحتلت فرقة "بالية" الفندق كله لمدة أسبوعين"

- ولماذا قالوا للمس "ماي".... أن هناك غرفة ؟

- لقد حدث سوء تفاهم دون شك....

ولما رأت الأسى على وجهه، جذبته مـــن ذراعـــه... وقالت له باسمة : "سنذهب إلى فندق آخر أعرفه، ولابـــد أن نجد لك غرفة !"

ولم يعثرا على غرفة في الفندق الذي ذهبا إليـــه... ولا في غيره من الفنادق، فعادا يركبان السيارة... وسأل "**كمـــال**" الفتاة برقة، وهو يشعر بالحيرة:

- هل لك في أن تتكرمي علي... ونتجول قليلاً في المدينة ؟!

- بكل سرور ....

☆☆☆

وسارت به على شاطئ البحر.... وكان البحر راكـــداً خانقاً، والعرق يسح منه، ففتح صدر قميصه... ورأى الهنـــود

في لباسهم الأبيض جالسين حول البوابة التاريخية الكبيرة التي في مدخل الميناء... وكانوا يلبسون الصنادل، والأقمصة البيضاء الطويلة فوق السراويل... وكان بعضهم حافي القدمين !

وكانت سحنهم سمراء، وشعرهم أسود لامعاً... وبدا عليهم التأثر من حرارة الجو وشدة الرطوبة، فجلسوا في خمول، دون حراك... كأنهم ينتظرون رحمة السماء من هذا العذاب...

وأوقفت "شاري" السيارة في جانب الطريق... وخرجا منها، ووقفا ينظران إلى البحر، ومد "كمال" بصره إلى بعيد، وهو يرى الأنوار تتلألأ في الميناء الدائري... وسألته الفتاة :

– هل أسفت لأنك لم تجد غرفة مع فرقة الباليه ؟... إن فيها فتيات جميلات دون شك !

– ليس من المعقول أن أفكر – وأنا معك – في أي فتاة أخرى....

- أوه .... حقاً ؟!

- لقد شعرت بميل شديد إليك من أول نظرة...

- حقاً إن هذا يسرني....

- ما أجمل "بومباي" في الليل !... لولا هذه الحرارة الخانقة، لكانت من أجمل المدن...

- إن الساحل كما ترى... على شكل عقد من اللؤلؤ على صدر حسناء...

- وكانت الحسناء تسمى "فكتوريا" !

- إنك تعرف تاريخ "بومباي" إذن، فلا داعي لأن أكون دليلك...!

وقال لها بعد أن مشيا طويلاً على الشاطئ :

- هل آخرتك عن العودة إلى البيت ؟... ربما أكون قد ضايقتك...

- بالعكس، إنني مسرور جـداً، إذ إلتقيت بـشاب مثلك.. ويجب أن أبحث لـك عـن غرفـة مهمـا تكـن الأحوال...

- لا داعي لأن تتعبي نفسك في البحث... سـأظل هنا إلى الصباح، فلا يوجد أجمل من هـذا المكـان فـي "بومباي"... فقط أرجو أن تظلي معي !

- هذا يسير.... سأظل معك...

- هل يمكن أن نعثر على مكان نشرب فيه زجاجة من البيرة....

- لا نستطيع....

- ولماذا ؟

- لأني ألبس الساري، وسيظنونك هندياً... والخمر محرمة على الهنود في الأماكن العامة.

- أي عذاب !

- أمستاء أنت ؟

- جداً.....

- إذن سنشرب البيرة في بيتي....

- أكون سعيداً....

-قبل أن نذهب إلى البيت سأريك أهم ما في المدينة.

وسارا معاً في الشارع الرئيسي... وكانت الساعة قد تجاوزت التاسعة، والمدينة تتلألأ بالأنوار القوية، ولكن الحوانيت أخذت تغلق أبوابها... ومرا على أكثر من مشرب من مشارب الشاي... وكان يود أن يدخل ليستريح بعض الوقت، ولكنها قالت له: "سأريك أولاً، شيئاً تسر به".

وكانت مذ إلتقت به، وجلست بجانبه في السيارة، تشعر بالإرتياح...بل أنها — منذ اللحظة التي رأته فيها في

مكتب السياحة ـ وهي تشعر بميل قوي إليه، وبسرور الفتـــاة وهي ترافق يخفق له قلبها...

وكان "كمال" في السابعة والعشرين من عمره، طويـــل العود، أسمر وسيماً، قوي الجسم، في صوته خشونة تحبهـــا المرأة....

وسمعا ـ وهما منطلقان بالسيارة ـ نقراً شديداً بالـــدف آتياً من بعيد، فسألها: "ماهذا ؟"

– أنه معبد هندي.... وسنذهب إليه...

وإقتربا من المعبد فأوقفت السيارة... وكان على بابـــه أمرأة مسنة تلبس الساري الأبيض، وفي أذنيها قرطان، وعلى صدرها بعض الحلى....

ودخل "كمال" مع "شاري".... وكان هناك شاب هنـــدي عاري الصدر تماماً، ينقر على الـــدف أمـــام المعبـــد، نقـــراً عنيفاً... وشاب آخر يتلو التعاويذ، ويطلق البخور....

ودخل المكان شاب وفتاة، بعد أن خلعا نعالهما... ووقفا أمام المعبد، ثم ركعا.... وكان الشاب العاري الصدر، يتلو الأدعية ويطلق البخور..

وقالت **"شاري"** وقد أكتسى وجهها بالسعادة: "إنهما يتزوجان"

وقال "كمال" : "أيمكن أن نفعل مثلهما... على سبيل التفكهة والتفاؤل !"... فأجابته: "بالطبع!"

ولعلها كانت تتمنى لو أن الخيال أنقلب حقيقة، لولا أن هناك حواجز كثيرة كانت تعترضهما... فآثرت أن تقنع بمجرد التمثيل... وخلعا نعالهما، ودخلا فوقفا أمام المعبد كزوجين.. وأخذ الشاب الهندي يتلو الأدعية وهما صامتان... والبخور يملأ جو المكان...

ثم خرجا مسرورين، بعد أن وضع **"كمال"** في يد الشاب الهندي بضع روبيات... وركبا السيارة إلى بيت **"شاري"**...



وكان بيت "شاري" في الطابق الثالث من عمارة حديثة... وفتحت أمها الباب لهما... كان سيدة إنجليزية لا تزال في نضارة الشباب، وكانت قد ألتقت بوالد **"شاري"** وهو طالب في "لندن" فتزوجته هناك، ثم جاءت معه لتعيش في "بومباي"... وظلت ـ منذ ذلك الحين ـ تعيش معه في "الهند" إلى أن مات وترك لها ثروة طيبة... وبنتين جميلتين، عاشت معهما في سعادة ويسر....

ودخلت أخت "شاري" لتسلم على الضيف، فذهل "كمال" إذ كانت تشبه "شاري" كل الشبه... لا تختلف عنها في أي شئ، حتى في بحة الصوت !.. وعلم أنهما توأمان...وأخذ ينقل بصره بين الأختينه لعله يلاحظ أي فارق بسيط، ولكنه عجز عن المفارقة، فقد كانت كل واحدة منهما صورة طبق الأصل من الأخرى !

وتعشوا، وشربوا البيرة والويسكي... وأخذوا يتحدثون في مختلف الشئون في مرح وبهجة، حتى إنقضى جزء كبير

من الليل.... وطافت به الأم كل الغرف، فرأى البيت الهنـــدي لأول مرة... ورأي صورة المرحوم !

واستأذن "**كمال**" لينصرف، فقالت له "**شاري**":

– **لقد حكيت قصة الفندق لوالدتي، فرأت أن تنـــام هنا..**

– هذا كرم عظيم ولطف منها... ولكنني أخشى أن أزعجكن...

– **أبداً... ســنكون مـــسرورات... والآن ســنريك غرفتك !**

ومشى مع "**شاري**" إلى غرفة جميلة...

ودخلت عليهما الأم بعد لحظات... وسألته: "هل راقتك الغرفة ؟"

– إنها جميلة جداً....

– وهل ينقصك شئ ما؟

– بل فيها كل ما أحتاجه، حتى "البيجامة" !

فقالت ضاحكة: "إنها بيجامة شاري !"

وكانت الأم محتفظة بكل شبابها ونضارتها.. كل من يراها يتصورها أختاً للفتاتين !... وعادوا إلى الصالة فجلسوا يتحدثون... ثم استأذن "**كمال**" لينام، وترك ثلاثتهن في مكانهن...

وخلع بذلته، وأرتدى البيجامة الحريرية... وكان الحر شديداً، فترك النافذة مفتوحة، والباب مفتوحاً.. وأطفأ النور....

ورآهن بعد قليل رائحات وغاديات في الردهة، بقمصان النوم الشفافة التي تكشف عن كل المفاتن... وكان في الظلام، وكن في النور فلم يلاحظن نظراته...

وأغفى إغفاءة قصيرة، ثم إستيقظ على حركة بسيطة في الغرفة... ولما فتح عينيه رأى واحدة منهن تنزل الستر على النافذة، وتغلق شبكة السلك لتمنع البعوض من دخول الغرفة...

وكانت تتصوره نائماً، فراحت تتحرك كالـشبح، وقـد إشتد الظلام في داخل الغرفة ـ بعد إنذال الستار ـ فلم تعـد العين تستبين ما أمامهـا بوضـوح، وتحركـت فإرتطمـت بالسرير... وأحست به يمسك بذراعها... وكأنها كانت تتمنـى هذه الحركة، فلم تمانع... ومالت عليه بجسمها كله، فطوقهـا بذراعيه وشدها إلى صدره....

وأخذ يحادثها في صوت خافت ليتأكد من أنها "شـاري" ولكن يدها الناعمة وضعت على فمه، وهمست:

– لا تتحدث... لئلا يستيقظ النيام !

وغرق في دوامة من اللذة......

ونعس قليلاً، ولما فتح عينيه وجد الجسم الناعم بجواره، فأخذ يضمه ويشم عطر الشعر والجسد... حتى أدركه النعاس مرة أخرى...

وقبل الفجر تيقظ، فوجد يداً ناعمة تمسح على ذراعـه العارية... فقبل اليد وضم الجسم إليه بقوة...

وبعد ساعة إنفلتت من جواره وخرجت من الغرفة....

☆☆☆

وفي الصباح إستيقظ مسروراً وفي رأسه الحلم الذهبي... وحسر الستر عن النافذة، فدخل النور الغرفة... ووجد في الفراش "فردة" قرط... فوضعها في جيبه، وهو يبتسم... حتى إذا جلس مع الأم وإبنتيها، راح يحملق فيهن متفرساً... وكن أكثر إشراقاً وسروراً منه، فضحكن لنظراته... **كان يود أن يعرف أيهن التي قضت الليل معه... ولما أطال فيهن التأمل إزدادت حيرته !**

وودع الأم وأخت "**شاري**"... وركب مع "**شاري**" سيارتها لتقله إلى مكتب الشركة... وفي الطريق أخرج فردة القرط من جيبه...وسألها بهدوء:

– هل هذه تخصك ؟

– **لا .... إنها تخص ماما !**

ثم تغير لونها فجأة، وكأنما خطر ببالها شئ أفزعها... وسألته :

– **أين وجدتها ؟**

– **في الحمام !**

فعاد إلى قلبها الإطمئنان... وضغطت بيدها الخالية على يده بشدة، معبرة عن سرورها... فقد كانت لا تحب أن تحظى أية أنثى بأكثر مما خظيت به هي، خلال تعارفهما القصير !

— تمت —

العهد !

قصة للكاتب السويسري

فريدريش دورينمات

عرض وتلخيص : الدكتور حسين مؤنس

العهد

قصة للكاتب السويسري

فريدريش دورينمات

تلخيص الدكتور/ حسين مؤنس

سخرية من القصص البوليسي المرتب المحكم

القصة التي أقدمها اليوم، قصة بوليسية...

هكذا تبدو في ظاهرها، وبهذا ينطق القالب الذي صيغت فيه، ولكنها ـ في الحقيقة ـ تأخذ بعد البداية مباشرة، إتجاهاً يختلف كل الإختلاف عن إتجاه ما نعرف من القصص البوليسي.... تتحول إلى دراسة نفسية، مأساة رجل بوليس وقف حاجزاً أمام جريمة لا حل لها... هنا تشبه القصة ـ من بعيد ـ "يوميات نائب في الأرياف" لـ"**توفيق الحكيم**"... هي الأخرى تبدأ وكأنها قصة بوليسية، لتتحول بعد ذلك إلى صورة إنسانية بالغت الإبداع.

قصتنا هذه تبدأ بجريمة قتل... صبية في الرابعة عشرة من عمرها، إعتدى عليها وحش آدمي، ثم قتلها وشوه جسدها بموس، وألقى جثتها في غابة، ومضى دون أن يخلف أدنى أثر، عقب هذا تبدأ التحقيقات والبحوث البوليسية المعروفة، دون نتيجة... **بقية القصة هي حكاية مفتش البوليس الذي جن جنونه أمام هذه الجريمة، ورصد حياته لكشف سرها، وما زال يلح في ذلك، حتى تحطم هو نفسه وضاع عمره بدداً!...**

إنها – في حقيقتها – سخرية من القصص البوليسي... "**دورينمات**" نفسه يقول هذا، على لسان مفتش آخر، في حديث له مع أحد الكتاب... يقول مفتش البوليس: "...المشكلة أننا نجد في كل هذا القصص البوليسي، الذي يكتبه الكتاب، لوناً مختلفاً من التزييف، يتكرر ويتردد، أنني لا أشير بذلك إلى ما يحدث عادة في هذه القصص، من القبض على المجرم وإنزال العقاب به... فمثل هذه الأساطير الخرافية اللطيفة ضرورية فيما أظن، إنها من ذلك الطراز من الأوهام

الذي يعين على حفظ النظام مثلها في ذلك مثل العبارة الورعة التي تتردد قائلة إن الجريمة لا تثمر، في حين أن أي إنسان لا يحتاج إلى أكثر من تأمل أحوال المجتمع، ليتبين مقدار الحقيقة في هذا القول !...

لا بأس عندي في أن أسلم بهذه الأوهام، ولم لمجرد صالح المهنة التي نقوم بها، فإن كل جمهور من الناس، أو من دافعي الضرائب، له الحق في أن يستمتع بأبطاله ونهاياتهم السعيدة... ونحن رجال البوليس، وأنتم — الكتاب — ملزمون بأن نقدم للناس هذه المتعة... هذا كله لا يضايقني، أما الذي يثير غضبي، فهو التصميم القصصي — Plot — الذي تقدمونه، هنا يبلغ الزيف إلى أن يصبح بالغ الجفوة وقلة الحياء.

إننا لا نستطيع أن حل معضلة جريمة كما نحل معادلة رياضية، لأننا لا نملك كل المجهولات اللازمة.... في العادة نعرف قليلاً من المجهولات، وأقلها أهمية بصورة خاصة... أن الحظ — ذلك الشئ الذي لا يمكن حسابه أو تقديره — يلعب

دوراً أكبر مما ينبغي له، قواعدنا مبنيــة علــى الإحتمـــالات والإحصائيات، لا على العلل الحقيقية، إنها تنطبق على الواقع، في صورة عامة فقط.... إن أدواتنا لكشف الجرائم غير كافية، وكلما حاولنا ضبطها وتحديدها ظهرت قلة كفايتهـــا بـــصورة أوضح !

ولكنكم — معشر المشتغلين بالأدب — قلمـــا تحفلـــون بذلك، لا تريدون أن تشغلوا أنفسكم بهذا اللون من الحقـــائق الذي يفر من بين أصابعنا دائماً... بدلاً من هـــذا، تنـــشئون عالماً تستطيعون التحكم فيه... هذا العالم ربما كان كاملاً ... من يدري ؟... ولكنه أيضاً أكذوبة !...

لابد لكم من التخلي عن ذلك الكمال المفتعل، إذا كنـــتم تريدون أن تصلوا إلى شئ...إذا كنتم تريدون أن تصلوا إلـــى حقائق الأشياء ...بدون هذا، ستجدون أنفسكم متخلفين دائمـــاً، تلهون بألاعيب أسلوبية .....!"

هذه السطور تلقي ضوءاً كاشفاً على طبيعة القصة التي ستقرأها، إنها جريمة ملغزة، من النوع الذي يواجـه رجـال البوليس في معظم الحالات... جريمة دون مفاتيح، جريمـة لا نجد فيها هذا الترتيب الهندسي، الذي نجده عند **"كونان دويـل"** و **"جورج سيمينون"** و **"واجاثا كريستي"** و **"أيان فليمـنج"**.... الترتيب الجميل المحكم، الذي يهدي رجل البوليس الذكي إلـى الحقيقة خطوة خطوة....

في قضيتنا هذه، لا يوجد مفتاح واحد، ومعنى ذلـك أن رجل البوليس لن يستطيع أن يخطو خطوة واحدة...

في مثل هذه الجرائم — وهو الغالبية — يستمر التحقيق والبحث حيناً، ثم تقفل القضية، تدرج تحـت مـا يـسمونه : "جنايات من فعل مجهول"...ثم تتراكم من ورائهـا القـضايا والجرائم، لأن الدنيا لا تتوقف، قد ينكشف سرها يومـاً مـا، ولكن شيئاً لا يحدث إذا لم ينكشف !

ولكن ما الذي يحدث إذا أصر واحد من رجال البوليس على أن يكشف أمر جريمة من هذا الطـــراز ؟... إذا أراد أن يواجه جريمة طبيعية، من النوع الذي يحدث كل يوم، وأصر على أن يصل إلى سرها ؟...

ذلك هو الموضوع الطريف الذي يعالجـــه **"فريـــدريش دروينمات"** في هذه الرواية....

أشياء تحتاج إلى تفسير..

نبدأ القصة أذن من أولها.....

"دورينمات" رجل واقعي جداً، يقص عليك ما يريد فـــي بساطة تحسب معها أن يده كفنان لم تتدخل في العمل قط...في نهاية القصة فقط تشعر أن بساطته تلك هي عمله كفنان، وأنها في ذاتها عمل عسير كل العسر.

لقد سمع القصة من رئيس سابقة لإدارة البـــوليس فـــي "زيوريخ" ثم أصبح هذا الرجل نائباً في البرلمان، لقيـــه فـــي

مدينة "خور" ـــ أو "كوار" كما يقولون بالفرنـــسية ـــ وهـــي عاصمة مقاطعة "الجراوبندن" أو "الجريزون"....

كان الكاتب قد ذهب إلى هناك ليلقي محاضرة عن فـــن القصص البوليسي، ولم يحضر المحاضرة إلا نفر قليل، وكان الجو بارداً ثقيلاً ساكناً... وعاد إلى الفندق، وهناك لقى رئيس البوليس السابق هذا... شربا وسهرا معاً، بحكم الـــضرورة، لا عن إستلطاف أو مودة، وأتفقا على أن يعودا فـــي الغـــد إلـــى "زيوريخ" في سيارة رئيس البوليس.

في الغد، مضت بهمـــا الـــسيارة مـــن "خـــور" نحـــو "زيوريخ"... في الطريق وقفا عند محطة بنزين...على مقعـــد في تلك المحطة جلس رجل مسن مهمل الهيئـــة، يبـــدو لأول وهلة أنه في حالة غير طبيعية.... تبينا بعد قيلي أنه صاحب المحطة فطلب إليه مدير البوليس، أن يملأ الخـــزان وينظـــف درع الريح الزجاجي... ثـــم مـــضيا إلـــى مـــشرب ملحـــق بالمحطة... كل ما في المشرب يثير الإشـــمئزاز... المنظـــر

العام، والسيدة التي تعد المشروبات، والفتاة التي تخدم، ثم... القهوة التي شرباها !

كان يبدو بوضوع أن رئيس البوليس يعرف جميع أولئك الناس، وهم يعرفونه... وعندما خرجا، وجدا الرجل جالساً كما كان، بعد أن ملأ الخزان ونظف زجاج السيارة، إنصرف رئيس البوليس دون أن يحييه، وقبل أن تتحرك السيارة بهما، رأياه يهز يده في شبه جنون ويقول :

– سأنتظر.... سأنتظر.... سيأتي.... لابد أن يأتي!

رجل مثالي... وفرصة جميلة ضاعت !

كان لابد أن يكشف مدير البوليس لرفيقه عن سر هذه المحطة، والمشرب الملحق بها، والرجل الجالس هناك، ولم يكن الكاتب بحاجة إلى أن يطلب إليه ذلك، فقد كان من الواضح أنه يريد أن يتكلم...

قال بعد مقدمة يسيرة : هذا الرجل العجوز أسمه **"ماتاي"** كان من أنجب مفتشي البوليس عندي.. كان يحمل

درجة "كابتن" لأننا في قوات البوليس ــ في المقاطعات ــ نحمل ألقاباً عسكرية، كان رجل قانون مثلي، حصل على دكتوراه في القانون من جامعة "بازل" وكان في حياته كأنه آله مضبوطة، حتى سماه زملاؤه... "مات درأوتومات"...."ماتي الأتوماتيكي".

وكان دائماً حسن الهيئة والزي، مستعداً للعمل... ولم يكن يدخن أو يشرب، كان يأخذ عمله أخذاً عنيفاً جعله قليل الحظ من حب زملائه، برغم توفيقه الكبير، كان عزباً ينفق وقته كله وجهده كله في عمله.. ولم يكون له بيت، فكان وقته كله وجهده كله في عمله.... ولم يكن له بيت، فكان يقيم في غرفة في فندق "أوريان" في ميدان "بلفي"... لم أسمعه مرة واحدة يتحدث عن حياته الخاصة، ربما لأنه لم تكن له حياة خاصة.... كان عنيداً شديد العزم، لا يكاد يتعب من العمل، ولا مكان للعاطفة في تفكيره أو عمله !

قبل تسع سنوات ــ وهو التاريخ الذي بدأت فيه مأساة "ماتاي" هذا ــ كان قد وصل إلى القمة في عمله، كان

مساعدي الأول، وكان بديهياً أن يخلفني، فقد كانت إذ ذاك في أواخر سنوات عملي، وكان من الطبيعي أن يفكر ولاة الأمور فيمن يخلفني... ولكن فكرة ترقية "ماتاي" مكاني كانت تلقي بعض الصعوبات فهو — أولاً — لم يكن ينتسب لأي حزب سياسي... ولم تكن هذه بالعقبة الكبيرة، أما العقبة الحقيقية، فكانت نفور رجال البوليس منه، وخوفهم من أن يسوقهم سوقاً عنيفاً... ومن هنا فقد كان من المنتظر أن يعترضوا عليه... وفي نفس الوقت، لم يكن من الممكن للجهات العليا أن تتجاهل هذا الإعتراض، ولم يكن ممكناً كذلك أن تتخطى أكفاً الموجودين، **ولهذا فعندما تلقت حكومة الإتحاد في "برن" طلباً من حكومة "عمان" أن تندب له رجلاً كفءً ليقوم بتنظيم البوليس، بدا هذا الطلب كأنه إستجابة لدعوة حارة، فأسرعت إدارة مقاطعة "زيوريخ" بإقتراح أسم "ماتاي" ووافقت كل من "برن" و "عمان" وسر "ماتاي" بذلك فقد وجد فيه فرصة لتغيير الجو والقيام بعمل جديد، وأفضى إلينا بأنه — بعد أن ينتهي عقده مع حكومة "الأردن" — لن يعود إلى بوليس**

"زيوريخ" بل سيرتب أمر معاشه، ثم يذهب إلـى "الـدانمرك" ليعيش مع أخت له ترملت هناك.

وتمت الإجراءات على عجل... رتب **"ماتاي"** شـؤونه وأتم الإتفاق مع "الأردن" ولم تبق إلا أيام قليلة ليسلم عمله لـ **"هنزي"** المساعد الثاني بعده ثم تمضي به الطائرة عابرة جبال الألب والبحر الأبيض...كان هذا هـو المنتظـر، عنـدما دق جرس التليفون — في مركز البوليس — في عصر يوم من تلك الأيام، كان المتحدث تاجراً متجولاً يـسمى **"جـونتن"** يعرفـه **"ماتاي"** معرفة جيدة، إذ كان قد إرتكب — قبل ذلك — جريمة أخلاقية حققها **"ماتاي"** وأدين فيها الرجل فقضى فـي الـسجن فترة....

تكلم الرجل من قرية صغيرة بجوار "زيوريخ" تـسمى "ميجندورف" وقال أنه عثر على جثة صبية مقتولة في غابـة قريبة من البلدة.

وكان من الطبيعي أن يتضايق **"ماتاي"** فهذه هي أيامــه الأخيرة في العمل، وما كان يجب أن ينفقها في تحقيق جنايــة منفرة مثل هذه، ثم أن المطر كان ينهمر مدراراً، والجو مــع ذلك حار خانق، مع أننا كنا في النصف الثاني من أبريــل.... ولكنني كنت متغيباً في "برن" فلم يكن لــ **"ماتاي"** مفر من أن يتولي القضية، ريثما أعود على الأقل... فطلب إلى **"جونتين"** أن يبقى حيث هو ، ثم أتصل بمركز البوليس في القرية، فــرد عليه الجــاويش **"ريــزن"** وأبلغــه أن المطــر غزيــر فــي "ميجندورف" أيضاً، فأمره بأن يراقب التاجر المتجول، وكـــان جالساً ينتظر في مشرب الهيرش "الوعل"، ثم خطــر وكيــل النيابة، والملازم **"هنري"** والــسائق **"فيللــر"**... وبعــد قليــل، أنطلقت بهم السيارة نحو القرية الصغيرة.

جريمة بشعة ورجل تحوم حوله الشبهات

عندما وصل الركب إلى القرية، تبين **"ماتاي"** أن الأمر بمراقبة **"جونتن"** كان خطأ جسيماً، فأن "ميجنــدورف" قريــة

صغيرة، أهلها فلاحون لا يخطر ببالهم إلا أن هذا البائع المتجول هو المجرم... وأهل القرى ينفرون عادة من الباعة المتجولين، الذين يتنقلون من قرية إلى أخرى، حاملين حقائب في أيديهم، يبيعون أشياء صغيرة، مثل شفرات الحلاقة والصابون وأربطة الأحذية والعطور والدبابيس والفرش وما شابه ذلك... فلم يكد الخبر ينتشر، حتى أخذ الفلاحون يفدون إلى المشرب، ويتجمعون ببابه، ونذر الشر بادية في أعينهم !

وذهب "**ماتاي**" ومن معه إلى الغابة، مصطحبين البائع المتجول.

هناك وسط كومة من ورق الشجر والحطب، تمددت صبية في نحو الرابعة عشرة من عمرها، كان نصفها الأسفل عارياً، وقد عبث المجرم به عبثاً فظيعاً، ورقبتها مجروحة — بل ممزقة — في أكثر من موضع، ومن حسن الحظ أن الوجه سلم من هذا التشويه، ولكن المنظر كان بشعاً، لا يستطيع تثبيت النظر في إلا رجل بوليس معتاداً على هذه الأشياء.

غير بعيد من ذلك الموضع، وجدوا نصف الرداء الأسفل مخضباً بالدم، ملفوفاً ومدفوناً في التراب وورق الشجر...

وأجريت الأعمال الروتينية بغاية الدقة، وأخذت مجموعة كبيرة من الصور الفوتوغرافية.. وقام الطبيب الشرعي بالكشف الأول، ودون ملاحظاته... ثم أذن وكيل النيابة بنقل الجثة إلى أقرب مستشفى، وتبين أن القتيلة تسمى **"جريتلي موزر"** ... إبنة وحيدة لزوجين من الفلاحين يعملان قرب الغابة.

ذهب **"ماتاي"** وأبلغهما الخبر... كان مشهداً عنيفاً مؤثراً، ولكن لم يكن من ذلك بد... وبعد أن أفاقت الأم من صدمة الخبر المفاجئ، نظرت إليه بعينين قويتين تجمدت فيهما لوعة الألم المضني وقالت :

– **من القاتل ؟**

– سأبحث عنه.....

– أتعد بأنك ستفعل ذلك ؟

– أعد يا "فراو" موزر.... (أي السيدة موزر)

– وتقسم على هذا بخلاص روحك ؟

– أقسم....

– تستطيع أن تذهب الآن !....

وأبتعد "ماتاي" في سرعة... وقبل أن ينحرف ويختفي عنه منظر البيت، سمع صرخة عالية شقت الفضاء، أعقبها إنفجار بكاء... ذلك ألم الوالدين !... أهتز كيانه كله، وزاد إسراعاً في خطوه، وقد قرر أن يبذل كل ما يستطيع ليجد ذلك المجرم.

في ثورة الغضب هم الناس بالفتك بالمتهم

عندما عاد "ماتاي" إلى "ميجندورف" واجه أولى مشاكل هذه القضية المحزنة... كان أهل القرية وما جاورها من الحقول، قد سمعوا بأن "جونتن" ـ البائع الجوال ـ له يد في

هذه القضية، على صورة ما... فقطعوا بأنه المجرم، خاصة وقد وجدوا أن البوليس رصد رجلاً لمراقبته، وأخذوا يتجمعون شيئاً فشيئاً أمام المشرب، الذي جلس هذا المسكين فيه... ثم وصلت سيارة البوليس الكبيرة، ورأى رجال البوليس أن الأفضل أن ينقل "جونتن" إليها.. **وتم ذلك وجلس الرجل في السيارة بين إثنين من رجال البوليس، فلم يشك رجال القرية في أنه المجرم، وأحاطوا بالسيارة وطالبوا بتسليمه إليهم ليقتصوا منه، وحاول "ماتاي" ووكيل النيابة ورجال البوليس أن يصرفوهم عن ذلك دون جدوى.**

كان غضبهم يشتد دقيقة بعد دقيقة، وأقبل الناس من القرى المجاورة ليشدوا أزرهم، وبدا بوضوح أن الأمر سينتهي بهجومهم على السيارة، وأخذ الرجل وشنقه على شجرة...

وأخيراً لجأ "**ماتاي**" إلى إقناع أولئك الناس بسخف ما يريدون، في بلد تعتبر العدالة الكاملة من أسس الحكم الرئيسية فيه، فأعلن إليهم بأنه مستعد لتسليم "**جونتن**" إليهم، إذا تعهدوا

بأن يعاملوه معاملة عادلة، وتحملوا مسئولية ذلك، ودارت بينه وبينهم مناقشة تعتبر نموذجاً لما يجري بين أهل "سويسرا" من المناقشات في شئونهم العامة، وهي مناقشات تضع يدك علـــى سر سلامة نظم هذا البلد ومتانتها، في قائمة على أساســين لا ثالث لهما : الحرية والمسئولية.. حرية كل مــواطن فــي أن يقول ما يريد، وفي أن يستمع الناس له فــي إحتــرام.... ثــم مسئولية كل مواطن عن كل عمل يقوم به، وهــي مــسئولية كاملة لا تعرف التجزئة أو التحايل أو إلقاء بعضها على الغير.

في نهاية هذه المناقشة، تبين الناس أنهم لا يــستطيعون تحمل مسئولية ما يطلبون، وأن المعقول والعادل هو أن يترك الأمر للبوليس، وتتحرك سيارة البوليس أخيــراً.... ويــودع "جونتن" السجن، ويبدأ التحقيق.

هذا هو كل ما عرفه المتهم عن الجريمة

قص "جونتن" على المحققين ما كان يعرفه..

قال أنه زار قرية "ميجندورف" وباع أشياء قليلـــة يــوم الحادث... ثم حان وقت الغداء، فمضى بسفط طعامه إلى حافة الغابة الصغيرة، ليأكل ويستريح قليلاً، ثم يعود إلـــى القريـــة، ولكنه فضل أن يذهب إلى مشرب "الهيرش" فـــذهب، وأكـــل وشرب قدراً كبيراً من البيرة... ثم ذهب إلى الغابة، واســـتلقى على حافتها ونام....

ولم يدر ما الذي أيقظه قبل أن يستتم نومـــه... خيـــل إليخ أنه سمع صوتاً مفزعاً، أشـــبه بـــصرخة مكتومـــة، أو صراخ طائر... ظن أنه صوت بومة...أفاق قليلاً، ثـــم غلبـــه النوم، لم يطل نعاسه هذه المرة، إذ إيقظـــه ســـكون الغابـــة الرهيب حوله... وعاد إلى ذاكرته الصوت المفزع إلى سمعه.

شعر بشئ من الخوف فنهض، ونفرت نفسه من فكـــرة العودة إلى "ميجندورف" وقرر العودة إلى المدينة عن طريـــق الغابة، متحاشياً الجاويش "ريزن" وهو رجـــل البـــوليس فـــي "ميجندورف"... وفي نقطة ما من الغابة، عثرت قدماه بـــشئ

فوقع.... وريع أذ تبين أنه وقع على جثة قتيلة مغطاة بأوراق الأشجار.

لم يضيع وقتاً... فأسرع إلـــى "ميجنـــدورف" وأتـــصل ببوليس "زيوريخ" وتحدث إلى الرجل الذي كان يعرفه هنـــاك، وهو "ماتاي" وذلك كل ما يعرف عن الموضوع.

كان إحـــساسي أن الرجـــل لا علاقـــة لـــه بجريمـــة القتل....حقاً أنه كان شخصاً منفراً لا يدعو إلى الثقة، ولكـــن هذا شعور شخصي... ومهما ساء الظن فيه، فهـــو لا يحمـــل طابع القتلة أو السفاكين... ولكن الإجراءات هي الإجـــراءات، وكان علينا أن نسير فيها إلى النهاية...

هنا كان ينبغي أن تنتهي القصة

خصـــصت خيرة رجالي للقضية... كان المفـــروض أن يتولاها الكابتن "**هنزي**" الذي تقرر أن يخلف "**ماتاي**" ولكن هذا الأخير كان خير رجالي، ولم أجد مفراً من الإعتماد عليه فيها، إلى أن يرحل.

وهكذا أخذ الرجل يعمل في القضية وهو شبه مستقيل من عندنا، ووظيفته الجديدة تنتظره في "عمان" بعد أيام !

وقمنا بكل البحوث الممكنة، لم ندع شبراً مـــن أرض الغابة دون بحث... حللنا كل المواد التي عثرنا عليها... أبلغنا كل المصابغ و جراجات السيارات، لعل قطعة ثياب أو سيارة ـــ عليها بقع دم ـــ تصل إليها... درسنا تاريخ البنت وخلقهـــا وعاداتها وسبب ذهابها إلى الغابة وما أشبه.... ولم نصل إلى شئ !

هذه معضلة بلا مفاتيح، بل بلا مفتاح واحد !

ولكن لأمر ما، كان الجميع ميالين إلى إتهام **"جونتن"**... إستجوبه **"هنزي"** مائة مرة، حتى أنهك قواه !.... **وفـــي مثـــل هذه الحالات، لابد أن يقع تضارب في الأقوال، وحينما يقـــص الإنسان نفس القصة مائة مرة ـــ الأولى في الساعة الثانيـــة بعد الظهر، والأخيرة في الرابعة صباحاً ـــ لا يمكن أن تتفـــق القصتان تماماً....**

وكان "**هنزي**" رجلاً عنيفاً بغيضاً... رجوناه مائة مـرة أن يقلع عن أساليبه، ولكن أمثاله لا يسمعون النـصح... إنـه شاب من أسرة موسرة، تزوج فتاة من أسـرة غنيـة أيـضاً، ووصل إلى أن يحل محل "**ماتاي**" وهـو بعـد فـي حـوالي الخامسة والثلاثين... شاب كهذا لا يؤمن إلا بنفسه، وقلما يفيد من تجارب الآخرين.

وفي مساء اليوم التالي، أتاني بإعتراف الرجل ! نعـم إعترف "جونتن" هذا بأنه هو القاتل !..

ولم أصدق أنا، ولم يصدق "**ماتاي**" ذلك، فذهبنا وسـألنا الرجل، فأكد إعترافه... كشفنا عن آثـار ضـرب أو سـوء معاملة... لا شئ !

أمام هذا، لم يكن في إستطاعتنا إلا أن نـسلم بـصحة الإعتراف....

كسب "**هنزي**" نصراً باهراً في أول قضية تولاها.

ولم يطرب **"ماتاي"** للأمر... هز كتفيه وصمت... على أي حال، كان عمله معنا قد إنتهى فعلاً، وبعد غد تحمله الطائرة إلى "الأردن"...

وفي مساء يوم الإعتراف نفسه، فوجئنا بأن **"جونتن"** إنتحر... وجد البائع الجائل مدلى من حبل في غرفة سجنه... شنق نفسه ! على هذه الصورة إنتهت القضية نهائياً، بالنسبة لي، ولبوليس "زيوريخ"، وللقضاء....

ولكن "ماتاي" أصر على الوفاء بعهده

ولكنها – مع الأسف الشديد – لم تنته بالنسبة لـ **"ماتاي" !... شئ أشبه بالجنون تمكن من هذا الرجل... كان مؤمناً بأن "جونتن" لم يفعل شيئاً، وأن المجرم لا يزال طليقاً !**

قبل سفره بيوم، ذهب إلى "ميجندورف" وحضر جنازة الفتاة القتيلة **"جريتلي موزر"** ورأى رفيقاتها في موكب الجنازة.... وأمتلأت نفسه بالغيظ والخوف... الغيظ من

المجرم الوضيع ــ الذي عدا على فتاة بريئة ــ والخوف مـن أن يعتدي على فتاة أخرى من رفيقاتها !

وهذا حق... ما دام مثل هذا الرجل طليقاً فالخطر قائم... وقد سبق أن إرتكبت ــ قبل هذه ــ جريمتان مماثلتان، في مكانين على نفس الطريق من "زيوريخ" إلى "خور".... الأولى في "سان جالن" والثانية في "شفيتس".

وفي اليوم التالي، ذهب إلى المطار ليرحل إلى "عمان".

في المطار وجد عشرات البنات الصغيرات، أتت بهن مدراسهن في رحلة للمطار... وأحس وهو يتأملهن أنهن في خطر، وأنه لا يليق به أن يتركهن تحت رحمة مجرم فاتك ويمضي.....

فجأة، ألغى سفره وعاد إلى "زيوريخ" !

وجاء ليقابلني.... جاء ليقول أنه يريد أن يسير في القضية !.... إعتذرت له، فهذه القضية إنتهت رسمياً، ثم أنه لم يعد يعمل معنا، فليس من حقه أن يتولى قضايانا !... أضف

إلى ذلك، أن هناك إتفاقاً رسمياً بين حكومة الإتحاد السويسري وحكومة الأردن، وهذا الإتفاق ينبغي أن ينفذ... لابد أن يترك هذا الجنون ويرحل !

ولكنه لم يترك هذا الجنون، ولـم يرحـل... قـرر أن يتعقب القاتل لحسابه الخاص... قرر أن يتعقب قاتلاً وهمياً في رأيي، لأن القاتل الحقيقي إعترف ووقع على إعترافه ثم إنتحر !

لم يكن في يد "ماتاي" خيط واحد مفيد، ولكن هوسه بالعثور على القاتل جعله يتصور أن في يده خيطاً....

ذهب إلى "ميجندورف" وتحدث إلى صبية كانت صديقة لـ"جريتلي موزر" فعرف منها أنها رسمت صورة ما ـ بالقلم الرصاص ـ قبل أن تموت بأيام... وقد رسمت في الصورة مارداً ، وقنافذ، وتيساً... وشيئاً يشبه سيارة كبيرة سوداء!

بعد تفكير طويل، أتاني ليقول أن المارد يرمز إلـى أن المجرم رجل ضخم، وأن القنافذ ترمز إلى نوع من الشيكولاته

كان القاتل يعطيه لـــ"**جريتلي**" وأن التيس هو شـــارة مقاطعـــة "جراوبندن".. ومعنى هذا أن القاتل يركب سيارة سوداء كبيرة في "الجراوبندن".... وحيث أن الجرائم الثلاث أرتكبت علـــى نفس الطريق، فلابد أن القاتل يمر خلاله بسيارته !

ولكي يعثر عليه، إشترى محطة بنزين، ليعمـــل فيهـــا بنفسه ويراقب.... ثم تبنى فتاة في هيئة "جريتلـــي مـــوزر" لتكون طعماً للقاتل !

لم يكن يشك في أن القاتل سيقع قريباً... ولكن القاتل لم يقع، لا قريباً ولا بعيداً.. ظل "**ماتاي**" ينتظر وينتظر...كانـــت المحطة تغل ربحاً لا بأس به.

وطول النهار كان "**ماتاي**" يظل واقفاً على قدميه يتأمل كل سيارة سوداء كبيرة... وعلى مقربة منه كانت تجلس الفتاة الصغيرة ــ التي تشبه "**جريتلي**"ــ وأسمها "**آن ماري**".

ومرت شهور ثم سنون... و"**ماتاي**" ينتظر ! ومع طول الإنتظار العقيم، وتركيز أفكاره فـــي نقطـــة واحـــدة، أخـــذت

شخصيته تنحل شيئاً فشيئاً... وأهمل مظهره، فلم يعد يحلق ذقنه أو يعني بثيابه... وأهمل النظافة، فكان لا يكف عن إلقاء أعقاب السجائر على الأرض.

وكان قد أخذ أم الفتاة الصغيرة، لتعمل في بيته، وحسبت المرأة أنها أعجبته، فلما عرفت أن غرضه كله أن يتخذ إبنتها طعماً لقاتل، إحتقرته !.. وكانت من أصلها إمرأة سوء، فمضت تسئ معاملته، ثم أنشأت من ماله ذلك المشرب الذي رأيته، ولم يحفل "ماتاي" بشئ من ذلك... وصل إلى الحل التي رأيناه فيها — في أول القصة — دون أن يشعر... كان لايزال ينتظر القاتل....**وقبل أن أحال إلى المعاش بأيام، أستدعتني سيدة تسمى "شروت" إلى مستشفى "زيوريخ"، لأسمع إعترافاً خطيراً منها وهي على فراش الموت...**

وإنتهيت إلى الغرفة التي رقدت فيها المحتضرة، قصت على قصة سخيفة تملأ مجلدات... وكان إلى جانبها قس يقول بين الحين والحين : "إختصري قصتك يا فراو شروت، وإلا فلن يتسع الوقت لإعطائك البركة الأخيرة !"

وبشق النفس، عرفت أن هذه السيدة تنحدر من أسرة من أسر مدينة "بازل" الموسرة، وأنها من أسـرة "**شـتيتزلي**" ذات الصيت البعيد....

وكان لها زوج مجنون يسمى "ألبرت"... كـان جنونـه يخيل له أن السماء تأمره بقتل فتيات صـغيرات، ذوات شـعر ذهبي، وجونلات حمراء... قتل بالموس فتاة تسمى "سـونيا" في مقاطعة "سان جالن"، وأخرى تسمى "إيفيلي" في مقاطعـة "شفيتس" ، وثالثة تسمى "جريتلي" في "ميجندورف".

وقالت المرأة أن هذا المجنون المنكود أراد أن يقتل رابعة كانت تجلس إلى جانب محطة بنزين !... بنتاً جميلة لطيفة ذات شعر أصفر وجونلة حمراء... بالضبط من النوع الـذي يحبـه "**ألبرت**" !... ولكنها ـ أي زوجته التي تحتضر الآن ـ غضبت وأنبته تأنيباً شديداً، فأخذ سيارته "البويك" السوداء، وخرج بهـا فاصطدم بشجرة ومات !.. وقبل أن تغيب الشمس كانت المـرأة قد أسلمت الروح....

وختم رئيس البوليس السابق كلامه قائلاً: "أنت تـــرى أن "**ماتاي**" كان على وشك أن يضع يده على القاتل... كان تقــديره كله صحيحاً، لو لا مصادفة سيئة.. لو لا تأنيـــب الـــسيدة لهـــذا المجنون !...

وقد قصصت ذلك كله على "**ماتاي**"... أصغى إلي وهـــو شبه غائب عن الوجود كعهده، ثم إبتسم ساخراً مني.. تـــصور أنني أكذب عليه !... وقال دون أن يلتفت إلي : سيعود القاتـــل يوما ما.. سأقبض عليه !

تمت

دنيا
الحب.. والسعادة!

للكاتب الألماني الأشهر
"أميل لودفيج"

تلخيص : عبد المنعم محمد الزيادي

دنيا الحب ... والسعادة !

للكاتب الألماني الأشهر "أميل لودفينج"

تلخيص/ عبد المنعم محمد الزيادي

* لهث المفكرون والفلاسفة، منذ أقدم العصور في البحث عن مفتاح ذلك الصندوق السحري الذي يضم... السعادة !... إلا أنهم جميعاً تعثروا في الطريق، وتخبطوا في محاولاتهم، وتفرقوا كل في سبيل: ذهب البعض إلى أن السعادة في الحب... وقال أخرون أنها في جمع المال... وراح فريق ثالث يؤكد أن السعادة الحقة إنما تستمد من سعادة الآخرين !... على أنهم لم يلتقوا قط على رأي واحد !

وقد رأى المفكر الألماني الكبير "أميل لودفينج" أن يدلي بدلوه في الموضوع، فراح يحلل عناصر ذلك السر الذهبي، عله يوفق إلى إكتشاف جديد ينير الطريق أمام الباحثين الآخرين... فهل تراه قد أفلح في إختيار السبيل، أم وضع حجراً جديداً يحكم سدها ؟!

تعال معاً نرتاد الطريق الذي شقه، في دنيا الـسعادة، بعد أن قطعنا أشواط كبير في..دنيا الحب.. في العدد السابق، لنتعرف على ضوء مشاعرنا وأحساسيسنا: هل هو أصاب .. أم أخطاء التوفيق؟!

٢- دنيا السعادة

في سعي لا يكل، يبحث كل شئ عما يكمله.... فالأحساس والنظر، يدفعاننا نحو عالم لا حد له... ولو ظلت الحـال هكـذا، ومضينا إلى الأمام دائبين، فليشهد الله : سنخلق بأيدينا العالمين !" "جيته"

* **لعل** من المؤسف حقاً أن فن السعادة في يد الفيلسوف وحده ! فهذا المتأمل في الكون، وذلـك الـشاعر ذو الخيـال الخصيب، يعلمان عن هـذا الفـن أكثـر ممـا يعلـم سـائر الناس...ولعل من المؤسف أيضاً أن هذا الفن لا يمكن تعلمـه ولا تلقى أصوله وقواعده حتى على أيدي الفلاسفة والـشعراء !.. ومع أن الناس في الأغلب يطمعون في أن يكونوا عقلاء،

بل سعداء، إلا أنهم ينساقون حيناً بعد حين وراء المفكر إلــى ميدان التفكير والتعقل، ظناً منهم أن ذلك هو السبيل المفــضي إلى السعادة... والواقع أنه متى دار الحديث حــول الــسعادة، عجز هذا العاقل المفكر ذو الجبهة العريضة عــن أن يــدلي بدلوه فيه !..

أما الفيلسوف فقد أنشأ لنفسه عزله، سواء كانت ســعيدة أو كئيبة، إلا أنها على أيه حال قد أملتها ظروف حياتــه، ثــم خرج من تلك العزلة آخر الأمر بمبدأ أو نظرية أراد الناس أن يؤمنوا بها، وهذا هو كل مايسع الفيلسوف أن يقدمــه لطــلاب السعادة، حتى "**أبيقور**" الذي غاص بفكره إلى أغوار الــسعادة، لم يستطيع بعد ذلك إلا أن ينصح بالتوسط والإعتدال، كــسبيل أمثل إلى السعادة... وأما "**سقراط**" الذي نادى بمثل هذه الآراء أيضاً ولكنه تناولها من ناحية الفضيلة، فقد كان مــن البراعــة بحيث صرح أن الفضيلة نفسها هي الطريق الأوحــد لتحقيــق السعادة الإنسانية، غير أن كل هذه المذاهب الفلسفية المختلفــة لا تزيد في الحقيقة عن أن تكون بمثابة نصائح أب يريــد أن

يجنب أبناءه التجارب المؤلمة، فينصحهم بأن يتجنبوا لعبة الإنزلاق مثلاً !

والأن وقد إتفقنا على أن السعادة لا تلقن أو تعلم، فلعل مناقشة موضوعها يتكفل بتخفيف عبء هذه المشكلة :

* **في** إعتقادي أن إختلاف الشخصيات هو منشأ الإحساس بالسعادة، فقد تصف جماعة من الناس بالطمع الغالب على أفرادها، وجماعة أخرى بإعتقادهم في الخرافات، لكنك لن تجد أبداً عاطفة واحدة من العواطف الدقيقة غير البينة، أو إحساساً معيناً واحداً من الأحاسيس الخفية غير الظاهرة، يسطر على جماعة بأكملها من الناس... بل أنك تجل مثل هذه العاطفة، ومثل ذلك الإحساس يختلف في فرد عنه في الفرد الآخر... ومثل هذه العواطف تتبدل تبعاً للظروف والأحوال، ولذلك لا يمكن إقامة ميزان دقيق، أو مقياس ثابت لها !

فالسعادة هي جماع الروح وخلاصتها، تلك الروح التي تختلف بإختلاف الأشخاص، ولهذا لا يمكن أن نصف فضيلة معينة، أو طريقة معينة للمعيشة، بأنها تجلب السعادة لكل إنسان على السواء.. فالذي يعثر في نفسه على العناصر الداخلية أو الروحية للسعادة، ثم يسعه أن يجد في الحياة العناصر الخارجية أو المادية المكملة لها، ويلائم بين هذه العناصر بعضها وبعض، يكون أسعد الناس !

ومن الواضح الجلي أنه متى أجتمع أناس من طبائع مختلفة أو مشارب متباينة، في صعيد واحد، فإن الحسد يدب في القلوب... فرجل الأعمال الذي قام برحلة طويلة شاقة، عقد فيها الصفقات وأبرم العقود، ثم صادف عند عودته — وهو يقود سيارته وإلى جانبه حبيبته — منزلاً ريفياً جميلاً هادئاً، وشاهد فيه إمرأة ريفية تسوي أعشاب الحديقة وتقلم شجيراتها، كما شاهد من حولها طفلين أو ثلاثة يمرحون في بشر وسرور، تتوق نفسه وتغلبه على أمره الرغبة في أن يطلق حياة العمل المتواصل الشاق ويقضي الحياة على غرار

هذه الأسرة الريفية في هدوء وإستقرار، لعله يجد السعادة هناك..وعندما تنزلق يده عن عجلة القيادة، وتلمس يد حبيبته، قد يحلم الإثنان معاً بتغيير مجرى حياتهما وإبدالها بمثل تلك الحياة التي يحياها سكان ذلك البيت الريفي الهادئ.. ولو أن الريفي صاحب البيت الهادئ، رأهما في تلك اللحظة وهما يطويان بسيارتهما أرض القرية، لأستند بجسده المضني على سور بيته الريفي يستريح من عناء عمله في الحقل، ولقال في نفسه : "**أنظر إلى هذين اللذين ينهبان الأرض في تلك السيارة الأنيقة، لا يخالجهما الهم ولا يكدرهما شئ... ما كان أخلقني أن أكون مثلهما !"... وإذا كان لهاتين الرغبتين العابرتين أن تتحققا، فيتبادل الرجلان حظيهما، فما أشد البؤس الذي لاشك ينزل بهما !**

والقصص الخيالية تروى أن الأمراء والنبلاء كانوا يتبادلون أحياناً مع الفقراء والمشردين حظوظ بعضهم بعضاً، إلا واحداً من أبطال تلك القصص، كان يرعى الأوز، فجعل يقاوم إغراء إبدال حظه بحظ من هو أثرى منه وأوسع جاهاً،

فلما سئل: "ماذا تفعل لو إنقلبت فارساً يشار إليه بالبنان ؟!" قال : "عندئذ أرعى الأوز ممتطياً صهوة جوادي !"

لكن أمثال هذا الفتى الذين يطرحـــون هـــذا الإغـــراء الجميل وراء ظهورهم، إن فعلوا ذلك فربمـــا لعلـــة أصــــابت إرادتهم وأمسكت بهم عن الإقدام، حتى أنهم ليعـــضون بنـــان الندم بعد ذلك حين لا ينفع الندم !

ومع هذا، فليس أضر بالسعادة من تحول مجرى الحياة ! فمثل هذا التحول ينكر على الناس كل ماسبق أن لقوه مـــن سعادة في حياتهم الأولى...

هل للسعادة صلة بالفضيلة ؟

وفي كثير من الأحيان تنشأ عاطفة السعادة من إيحـــاء الفضيلة، حتى لو كانت الفضيلة دفينة في أعماق النفس لا تبدو للعين، وهذا هو السبب في أن أكثر من يضر نفسه أو بغيـــره هو ذلك الذي يحاول أن ينزع من نفسه أو من غيره الأوهـــام والخيالات التي يعيش فيها، كما يفعل بعض شعراء الروس أو

بعض المحللين النفسانيي في هذه الأيام، إذ يحـــاولون كـــشف النقاب عن العواطف النائمة والمشاعر الخفيـــة فـــي قـــرارة النفس، بدلاً من تركها هناك سادرة في نومها !

وهذان رجلان يعبران حدود بلدة ما، أراد أحــدهما أن يموه على رجل الجمرك فأخفى زجاجة مـــن العطـــر يريـــد إهداءها لزوجته، أما الآخر فقد أثـــر الطريـــق القـــويم فـــدفع الرسوم المفروضة على الزجاجة التي معه... فهل كان الأول أسعد من زميله ؟.. ها هما يجلسان بعد ذلك حنباً إلى جنـــب في القطار، فإذا الأول يتباهي ببراعته وحذقـــه، أمـــا الآخـــر فيحس بالطمأنينة والراحة لأنه فعل ما يقضي به الخلق الكريم وآثر أن يشترى راحة ضميره بثلاث فرنكات!.. فهذا الرجلان كلاهما سعيد، لأنه تصرف بوحي ضـــميره ووفـــق هـــواه... الأول شاء أن يحقق البراعة والحـــذق بالحيلـــة والخـــداع... والثاني أراد أن يحققها بالإستقامة والكرامة... وقد تم لهما ما أرادا.

ثم هل الكريم السخي أوفر سعادة من البخيـل المقتـر ؟!.. الواقع أن المضيف الكريم الذي يعد قبل وصول ضـيوفه صندوقاً من السيجار الفاخر الذي قلما يسمح لنفسه بتـدخين مثله في الأوقات العادية، لا تقل سعادته عـن سـعادة ذلـك المضيف الذي يخفي صندوق السيجار الفـاخر قبـل حلـول ضيوفه ويضع بدلاً منه صندوقاً من السجائر الرخيصة !

السعادة ألوان ... وفنون !

والناس أحياناً يتساؤلون، إذا إلتقوا بإنسان يخالفهم فـي طبائعهم وعاداتهم ومعتقداتهم: "كيف يحيا "فلان" مثـل هـذه الحياة؟" ولعل الذين يريدون أن يقولوه هو: "كيـف يمكـن أن يكون "فلان" سعيداً ؟!"... فالرجل المنظم المرتب بطبعه، الذي تبدو ياقاته وقمصانه وأقلامه وأوراقه نظيفـة مرتبـة، بعـد إنقضاء عام كامل على إستخدامها، إذا دخل بيت "بـوهيمي" لا يؤمن بالنظام والترتيب، أصيب بصدمة في مشاعره، وتـأذى سمعه وبصره !... فهو لا يكاد يرى سر متعة الرجـل بهـذا

النظام المختل، وإستطاعته الجمع بين أكوام الــورق، وأدوات الحلاقة، وصناديق الحلوى، والصور، ومنفضة السجائر فــي صعيد واحد، بشكل يدل على الكــسل والخمــول.... وهــذه الصدمة نفسها تحدث للبوهيمي إذا زار صديقه المنظم المرتب في منزله !.. إنه لا يستطيع أن يدرك كنه اللذة التــي يبعثهــا هذا النظام الفائق الذي يتيح لصديقه أن يأتي بالشئ الذي يريده في بضع ثوان، ويصل إلى أي شئ بمجرد إلقاء نظرة واحــدة ! بل قد يستبد به الإستياء إذا أعاد صاحبة أنية الزهــر إلــى موضعها، وكان وضعها حيثما إتفق يسري عــن البــوهيمي بعض الشئ !

وهل تظن الشخص النافر من المجتمع، المتبرم بالناس، أقل سعادة من الشخص الذي يحب النــاس ويحــب عــشرتهم ؟!... كلا ! فالأول على الأقل مغلق القلب دون هذه العاطفــة المستبشرة التي تشيع في كيان الرجل المحب للناس... وهو لا يستطيع حتى أن يلمح آثارها على وجه صديقه الــذي يــألف الناس،إذا إلتقى به !.. لكنه يستمتع بإنتصار شكه فــي النــاس

على كل إحساس آخر، فهو الذي يجنبه الخيبة والفشل، ويهديه سواء السبيل !

وهذان رجلان: أحدهما يمقت صيد الطيـور الطليقـة، وثانيهما شغوف بمرأى الطيور البريـة وهـي سـجينة فـي أقفاصها، وكلاهما سعيد !... أولهما سعيد لأن العصافير مـن فرط ثقتها به تأتي لتلتقط الحب من راحة يده، وثانيهما سـعيد لأنه حقق لذة مشاهدة العصافير حبيسة وراء قضبان حديدية !

سعادة الأحرار... وسعادة العبيد !

وللأخلاق التأثير الأول، إذ تطبع الحقائق بطابعها، ولقد تلعمنا أن نوقر القديسين والشهداء لأشخاصهم وليس للمـشاعر التي تملكت نفوسهم، أو للعذاب الذي إحتملوه في سـبيل أداء رسالاتهم !.. والواقع أن الشهيد إذ يساق إلى المـوت قهـراً، يتولاه الإحساس بأنه لن يلبث بعد لحظات أن يلتقي بالملائكـة الأبرار في رياض الجنة... وهو يستشعر بهذا سعادة لا تقـل عن سعادة الإمبراطور الباغي الذي يشهد منظر الإعدام وهـو

مضطجع في عرشه، وقد أثقلته التخمة، وأحاطت به الحــور الحسان، والرجال الذي أذلهم الحرص على الجاه والــسلطان.. بل لعل سعادة هذا الأمبراطور تقل عــن ســعادة الــشهيد، إذ ينتقص منها ما يراه على أسارير ضحيته من شجاعة وإقدام !

وهكذا قد يضاعف من السعادة، واقع يناقضها... وهذا هو ما عنيناه بقولنا أن الإختلاف في الشخصيات، والتفــاوت في الطباع والخلق، منشأ الإحــساس بالــسعادة... فأصــحاب النفوس الضعيفة والأرواح الحائرة هو وحدهم الذين يظلــون دائمي الرغبة في التغير والتحول، بدلاً مــن أن يــدركوا أن المرء لا يستطيع أن يأخذ من حياة سواه — أي أن يغير مــن نفسه — دون أن يفقد توازنه.. وبالتالي يفقد ســعادته.. تمامــاً كما يفقد الشراب نكهته إذا ما صب من إناء بلوري إلى قــدح معدني !

ولما كانت قيم السعادة تختلف من شخص إلى آخر، فإن الحب والمجد والمال والبنون والجاه والشرف — وهي أكثــر متع الحياة شيوعاً — تجد من الناس من يزدريها !... بــل أن

هناك من يعزف عن إشتهاء أغلى عوامل السعادة، وهي : الصحة والجمال والحرية... فهناك من المعذبين من لا يبغي عن ضعفه إفتراقاً !... وقد عشنا حتى رأينا مرضى يأبون الخلاص من عللهم !... وشهدنا أخرين يتلفون الجمال بالشهوة، كأولئك الذين يغتصبون النساء، أو يدمرون المعابد !... وفي مجال الحرية رأينا شعوباً تتخلص من ديكتاتورٍ لتنساق لآخر، ورأينا عبيداً يعودون إلى مستعبديهم طواعية!!.. **ذلك لأن السعادة ليس شيئاً يصاغ في قالب خاص، بل أن على كل إمرئ أن يصوغ سعادته بنفسه، ووفق ظروفه ورغباته وطباعه.**

سعادة الطموح .... في القلق !

بل أن درجات السعادة ذاتها ليس سواء... فكما تتباين الأشكال، تتباين المقادير... إذ أن السعادة قابلة للإزدياد والإطراد، سواء في الكمية أو في طريقة الإستمتاع بها... فالإنسان الطموح يفوق عادة ـــ من حيث الإستمتاع ـــ الإنسان

الخمول..والوريث الذي لا يشغل بغير ترقب هبـوط الثـروة عليه، أقل إستمراء للسعادة من ذلك المكافح الذي ينطلق وراء الثروة والجاه، في شبابه على الأقل !... والذي يخال أن اللهفة والتحمس يولدان القلق الذي ينتقص من السعادة، لا يستطيع أن يبصر أن سعادة الإنسان الطموح المتحمس تكمن فـي ذلـك القلق بعينه، وليس في الغاية التي يسعى إليها !

أترى شعور الصياد المتمدين المتعلم بالسعادة يفـوق شعور الزنجي البدائي وهو يسعى إلى عرين الأسـد ؟!... لا !...فالواقع أن كلاً منهما ينتشي بالتسلل، والتـسمع والإقـدام والإحجام ...كلاهما يترجف في الأدغال إذا سـمع الفريـسة تقترب من المكان الذي إختاره ليلقاها عنده... وكلاهما يرقب فريسته، ويحبس أنفاسه وهو يتسلل زاحفاً نحوها... ثـم هـو يتهيأ.. وأخيراً، وهو يطلق قذيفته — رصاصة كانت أو رمحاً — فيصرخ الحيوان الجريح، فأما الزنجي فيقفز فـي الهـواء وهو يصيح طرباً، ثم لا تلبث مشاعره المـستعرة أن تخمـد رويداً، إذا ما أفترش الأرض ليشبع جوعه من لحـم ضـحيته

!.. وأما الصياد المتمدين، فتتضاعف نشوته إذ يقـارن بـين براعته وبراعة الصيادين الذين قرأ عنهم في الكتب، أو عندما يقارن بين صيد الوحش وبين التغلـب علـى إمـرأة شـديدة الجموح والصد... أو عندما يفكر فيما سيستولي عل أصـدقائه في "لندن" مثلاً من مشاعر، إذ يبهرهم مرأى فـراء الـوحش، ويزيد من ذهولهم أن يكون صائده هو ذاك الصديق الذي كـانوا يخالونه ضعيفاً رخواً !

ففي مثل هذه الحالات ــ البعيدة عن الحب والعاطفة ــــ نجد أن الشعور بالسعادة يتولد من مجرد الأمل فـي أن يغيـر المرء من أسلوب حياته المعتاد.. وهنا يمكن أن نقسم الناس إلى فريقين : فريق يقنع بنصيبه من السعادة ــ ولو كان قلـيلاً ــــ وفريق يطمع في المزيد، ويتطلع إلى آمال عالية، ومن الرغبـة في مضاعفة حظة من أسباب السعادة ــ لا سيما غير المـادي منها ــ تتولد لديه قوة كفيلة بأن تمكنه من النجاح المنـشود... وفي هذا قال "**أبيقور**": "إننا قد نلتقي مصادفة بمتـع صـغيرة، ولكن السعادة الحقة تتطلب سعياً وكفاحاً !"

السعادة الساذجة !

يرى بعض الناس أن في الأعمال المستترة التي يقوم بها الكائن الساذج ــ قديساً كان أو معتوهاً أو طفلاً ــ لوناً رفيعاً من السعادة... فهي سعادة تهبها لهم السماء دون ما جهد منهم... فالقطة التي تتمطى في كسل وهي مستلقية في دفء الشمس الساطعة... والفراشة التي تحوم مبتهجة حول زهرة نظرة من زهور البنفسج... والنحلة التي ترشف رحيق زنبقة في إستمراء... والطفل المرح الذي يطوح بكرته في الهواء... والفتاة التي تنطلق في المروج وهي تهز قبعتها مغتبطة، وتترنم بأنشودة عذبة... هذه كلها صور للسعادة الساذجة !

ونحن لا نملك أن نسأل القطة أو الفراشة أو النحلة، ولكنن إذا إلتقينا بالطفل والفتاة بعد عشرين عاماً، ووصفنا لهما منظرهما من الكرة والقبعة، لأبتسم كل منهما كمن يستيقظ من نومه فيستمع إلى من يروى له ما كان يهرف به في أحلامه المحمومة أثناء نومه !... ولكنا إذا سألناهما أن يذكرا لنا بعض

لحظات السعادة في حياتهما، لحدثانا عن لحظات قريبة من الماضي غير البعيد... إذ أن الوعي ينمو، فيغادر ظلال الطفولة ويخرج إلى ضياء مطرد... وبالتالي ينسى ذكريات الماضي البعيد، إذ تلهيه الذكريات التي مازالت تطفو في أضواء الماضي القريب !

وهكذا نرى أن المعرفة، والطموح المتحمس، والمقارنة، والتأمل، بل والضعف أو القوة في نظرتنا إلى أمر لا حيلة لنا فيه ـ كالموت ـ كلها عناصر تشيد في نفوسنا الشعور بالسعادة.. إنها تخلق التربة التي نغرس فيها اللحظات الفذة كمانغرس الزهور في الحديقة... فإذا زوت زهرة من غرسنا، لا تلبث جذورها أن تتحد بجذور زهرة أخرى فتزيدها قوة ونماء... وهكذا تذوي بعض الزهور، وتقوى زهور أخرى، حتى يأتي الوقت الذي نجد فيه بستاننا نضراً مزهراً... فإذا ما تناهي أريج بستان السعادة إلى أنوفنا، وجدنا فيه ما يبدد جزعنا من المصير المحتوم النهاية !

هل تستمد السعادة من الأخطاء أو الضعف ؟!

وحتى نصل إلى هذه الحال، لا بد لنا من أن ندرك طبيعتنا وكنه نفوسنا... والإنسان الذي لا يزال على الفطرة يدرك، عن أبسط مراتب هذا الإدراك، عين ما يعرفه العالم النفساني !... أما المراتب العليا منه فتتطلب من الإنسان أن يعرف الأجهزة التي تسيره ـ أو بالأحرى ميكانيكيته ـ وأن يسجل إنفعالاته وتصرفاته، وأن يعرف ما يتوقع من نفسه الرغبة فيه أو الإنصراف عنه... وكما يدرك المرء بالتجربة أي الأطعمة يلذ له، وأيها يؤذي معدته، يجب أن يعلم أيضاً أي الإنفعالات يطيب له، وأيها ينبغي الفرار منه... إذ أن إدراك المرء لطبيعته وخلقه وأهوائه ومشاعره وأذواقه ونواحي الضعف لديه_ بوجه خاص_ يمكنه من أن يرسم لنفسه الطريق المفضية إلى السعادة، وفي هذا الصدد قال "**جيته**" : "إن سعادتنا لا تستمد من فضيلتنا، وإنما تستمد من أخطائنا ونواحي الضعف فينا، فكل من يظن أن بوسعه أن يسعد عن طريق تحقيق

الفضيلة، إنما يخدع نفسه....اذ غالباً ما يكون الزهو ــ لا الفهم والإستيعاب للفضيلة ــ هو الدافع إلى تحقيقها... ومــن ثــم لا يلبث المرء أذا ما حققها أن يفتقد السعادة فيها" !

وقول "**جيته**" لا يقتصر على الشيخوخة، فإن المرء إذا ما تفتق وعيه وأضاء في مرحلة الشباب، عمد إلى تحليل نفسه في كل المواقف والمناسبات، وقد كان فن تحليل النفس من النضوج في العصور الغابرة بما لا يقل عنه في أيامنا الحاضرة... على أن المرء في شيخوخته أقدر وأحرص في بناء طريق الــسعادة، منه في شبابه، إذ تهيئ له معرفته أن يتبين أنسب الأماكن لـــه: أهي القريبة من البحر، أم القائمة عند الجبال ؟... أفي المدينة أم في الريف ؟... أفي المجتمع أم في العزلة ؟... كما تمكنه هــذه المعرفة من أن يتخذ من الأعمال البسيطة ما يملأ يومه بلحظات هنيئة، وكما ييسر النضوج الروحي للمرء سبيل الإهتداء إلى ما يلائم طبيعته، نجد أن هذه المعرفة تمكنه مــن أن يعيــد تهيئـــة ظروفه وأحواله بحيث توفر له أنسب الأجواء التي تلائمه.

ـــــ تمت ـــــ


النبي المجهول

هذا القسم خاص بكتابات وافكار استاذ اعتز كثيـرا بافكـاره وابداعاته التاريخية وهو

الاستاذ/ أسامة السعداوي. وهـي أراء قـد يعتبرهـا البعض شطحات خيالية ولكنها تستند في النهاية إلي أسـاس علمي وتاريخي ينبغي التوقف عنده وعدم اهماله بالكلية

حقيقة

الآلهة المزعومة لقدماء المصريين

عـزيـزي القـارئ .. على مدى سـنوات طويلـة وهـم يقولون لنا في المدارس والجامعات وجميع وسائل الإعلام المحليـة والعالمية أن أجدادنا المصريون القدماء كانوا وثنيون وكفرة وعبـدة للحيوانات والأصنام ومشركون ويعبدون مئـات ... بـل... آلاف الآلهة المختلفة .. ويقولون لنا أنهم عبدوا البقر وعبدوا الشجر وعبدوا الشمس وعبدوا ملوكهم وحكامهم .. حتى الحمير قـالوا لنـا أنهـم عبدوها... هكذا صوروا لنا أجدادنا أصحاب أعظـم .. وأطـول .. وأرقى حضارة بشرية عرفها الإنسان على طول تاريخه منذ أن خلق اللـه تعالى سيدنا آدم عليه السلام، قالوا لنا أنهم عرفوا كل ذلك بعـد

أن ترجموا النصوص المصرية القديمة في ضوء نظرية "شامبليون" التي تم فرضها على المصريين قسرا .. !!

فما هي حقيقة هذه الآلهة المزعومة ؟!

فيما يلي سأقدم بعض النماذج والأمثلة القليلة عن حقيقة تلك الآلهة المزعومة وذلك في ظل القراءة الصحيحة للنصوص المصرية القديمة في ضوء نظرية "السعداوي" للهيروغليفية الصحيحة .. التي أعترف العالم كله بصحتها.....

سيدنا إبراهيم عليه السلام .. أبو الأنبياء:

The Divine Prophet Abraham

قالوا عنه أنه الإله المصري (بتاح -PTAH)..! وقالوا أنه واحد من أقدم الآلهة المصريين الذي ظهر في العصور السحيقة لما قبل الأسرات.. وقالوا أنه رأس ثالوث منف (بتاح – سخمت – نفرتوم) رب الفنون والحرف.. وقالوا أنه عرف أيضا بإسم (بتاح – تاثنن) أي (بتاح صاحب الأرض البارزة) الذي أرتبط بإحدى نظريات خلق الكون في مصر القديمة .. وقالوا أنه يظهر على شكل

إنسان برداء محبوك وقلنسوة ويقبض بيديه على صولجان (واس) الديني — رمز الهيمنة والسيطرة — وقالوا أنه الإله خالق ومهندس السماوات .. وقالوا أنه رب الحياة ومصمم أجساد البشر .. إلى آخر هذه الهلوسات التي لا حصر لها ولا عـــدد !!...

عزيزي القارئ.. إن هذا الإله المزعوم الذي نـــسجوا عنـــه الأساطير والخرافات.. ما هو إلا سيدنا "إبراهيم" عليه السلام الـــذي ورد ذكره بنفس النطق في نصوص الأهرام المصرية (٥٠٠٠ ســـنة قبل الميلاد) وفي نصوص حجر "باليرمو" الذي يؤرخ لعصور سحيقة تمتد لأكثر من عشرة آلاف عام قبل عهد الأسرات الفرعونية.

أما السر في أنه يمسك بعلامة (وس) المـــصرية فهـــو قـــول اللـــــه ســـبحانه وتعـــالى: "وســـلامـــــا عـــــلى إبـــراهـــيـــم".

سيدنا موسى عليه السلام:

the Divine Prophet Moses

قالوا عنه أنه الإله المصري (إيمحتب – imHotep)...! قالوا أنه إله الهندسة وإله الطب في مصر الفرعونية..وقالوا أنه إبن الإله "بتاح".. وقالوا أنه العضو الثالث في ثالوث "ممفيس" العظيم .. وقالوا أن كلمة "إيمحتب" معناها: "الذي يأتي بسلام" .. وقالوا أنه إله الدراسة والتعليم .. وأنه يشارك الإله "تحوت" في ذلك .. وقالوا أنه أشهر مهندس في تاريخ العمارة المصرية .. وأنه عاش في عهد الملك "زوسر" حيث صمم له مجموعته الهرمية.. وقالوا أنه اشتهر بنبوغه في الطب ..

عزيزي القارئ ..هذا الإله المزعوم الذي نسجوا عنه الأساطير والخرافات.. ما هو إلا سيدنا "موسى" عليه السلام .. وقد صوره المصريون القدماء وهو جالساً يقرأ في كتاب (الفرقان) ..

من وحي قول اللـــه عز وجــــل: "وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون"

(البقرة ٥٣)

سيدنا نـــوح عليه السلام

symbolic picture for the Divine
Prophet Noah

قالوا عنه أنه الإله المصري (تـــحـــــوث .. ! (THOTH - قالوا أنه الإله الذي عبده المصريون في مدن الدلتا .. ثم أصبح بعــد ذلك الإله المسيطر في صعيد مصر .. وقالوا أنه إبـــن الإلـــه رع .. وقالوا أنه الإله الخالق .. وقالوا أنه الإله الذي انبعث من الجمجمة .. وقالوا أنه الإله مؤدب الأشرار .. وقالوا أنه الإله صـــانع الـــسلام .. وقالوا أنه أقدم الآلهة المصرية .. وقالوا أنه الإله المشرع والقاضـــي والكاتب .. وقالوا أنه مخترع الكتابة المقدسة .. وقـــالوا أنـــه منـــشأ المعابد المصرية .. وقالوا أن الموتى يشتاقون للإله تحوت .. وقالوا أنه الإله جحوتي إله المعرفة والحكمة .. وقالوا أنه يتخذ شكل طـــائر أبو قردان أو طائر أبو منجل أو القرد بابون .. وقالوا أنه ظهـــر أولا

كإله في مدينة أشمونين ثم أصبح إلها قوميا .. إلى آخر هذه الخرافات !!

هذا الإله المزعوم .. أيها السادة .. هو نبي اللـــــه ورســـوله سيدنا نوح عليه السلام .. الذي رمز إليه المصريون القــدماء بجسد إنسان ورأس طائر أبو منجل . ibis bird ونـــراه فـــي الصوره المأخوذة من كتاب الموتى وهو ممسك بغلامة السلام والعـــلم (لـــم) .. وأمامه سيدنا آدم وأمنا حواء)روحية) وهما يحييانه ممثلين لكل البشر

.. وذلك من وحي قول اللـــه عز وجل:

(سلام على نوح في العالمين)

(الصافات ٧٩)

رب العالمين . الرحمن الرحيم

Lord of the worlds (Ra3) the most merciful

قالوا عنه أنه الإله المصري (رع) .. وقالوا عنه أنه إله الشمس المصري صانع كل ما يشاهد في العـــالم المرئـــي وخالق السماء وآلهتها والعالم السفلي (الدوات) والكائنات التي تعيش فيه .. وقالوا أنه أقدم وأشهر الآلهة المـــصرية جميعـــا وأنه نشأ من مياه المحيط الأزلي .. وقالوا أنه اندمج مع عـــدد كبير من الآلهة كما أن له صور عديدة متحدا مع الإله خنـــوم والإله حورس وثعبان الكوبرا وغيرهم .. إلـــى آخـــر هـــذه الخـــــــــــــــــــــــــــزعبلات !!

عزيزي القارئ .. إن كلمة (رع) هي كلمة مصرية قديمـــة كانت تستعمل اختصارا لكلمة (رب العـــالميـــن) .. وذلـــك لتعدد تكـــرار كلمـــة (رب العـــالمين) آلاف المـــرات فـــي النصوص المصرية القديمة التي كانوا يحفرونها في الصخور وعلى الأحجار فكان لا بد من الاختصار أو الاختزال لتـــوفير

الوقت والمجهود . وعلامة الشمس لها منطوق صوتي (يـم / مـي) والذي أتى من كلمة (يـوم) .. باعتبار أن سطوع الشمس يمثل (يوما) فعليا في حياة الإنسان .. لذلك كانت علامة الشمس تستخدم في تكوين مئات الكلمات المصرية التي يدخل في تركيبه هذه النغمة (يـم / مـي) مثل:

يوم - يملك - يمحو - حليم - رحيم - عالمين - أمين - يمين - لعيم - مستقيم - إلخ .

لذلك فإن علامة الشمس تأتي هنا لتأكيد كلمة

(العالمين) كما يلي

ر - ع - مـي

رب العالمين

قرأها علماء المصريات (رع) ولم ينتبهوا للقيمة الصوتية الحقيقية لعلامة الشمس (مـي) .. فاعتبروا أن القيمة الصوتية لعلامة الشمس هي (رع) وهو خطأ جسيم من

أخطاء نظرية شامبليون وأتباعه ! وعلى ذلــك فــإن النطــق الحقيقي لهذه العبارة المصرية الشهيرة هو :

رب الـــعـــالـــمـــيـــن

الموضوع طويل ومعقد .. وأنا لا أريد أن أدخــل فــي تفاصيل لغوية مملة قد لا تهم القارئ الكريم .. ولكنــي أردت فقط أن أوضح مدى انحــراف علــم المــصريات التقليــدي بترجماته الواهية التي لا تستند لأي أسس علمية حقيقية عــن الحقيقة الناصعة .. وكيف أدى ذلك لاتهام المصريين القــدماء باطلا بأنهم مشركين ووثنيين .. وهو اتهام خبيث كان الغرض منه تفريغ حضارة المصريين القدماء من كل انجزاتها العظيمة ونقلها لقوميات أخرى .. وقد ظهر ذلــك جليــا مــن خــلال الغزوات المتعاقبة لأرض مصر الطاهرة من مختلــف بقــاع الأرض .. ليس بحثا عن ثروة أو ملك .. بل لانتزاع أســس الحضارة والعلوم العظيمة التي أنشأها المــصريون القــدماء بإيمانهم وكفاحهم وصبرهم ومالهم .. !! ..

the divine believing wife of Pharaoh)
HatHor) !

قالوا عــنها أنها الإلهــة المــصرية (حــاتحور) .. وأحيانا أخرى سموها الإله (رعــت) ! .. قالوا عنها أنهــا ربة الحقيقة والأشياء الجيدة .. وقالوا أنهــا تمثــل الزوجــة الصالحة .. وقالوا أيضا أنها ربة الغناء والــرقص والفرفــشة والحب والفنون .. وقالوا أنها ربة الخمر والبيرة .. وقالوا أنها ربة المرح والسعادة .. وقالوا أن المــصريون عبــدوها فــي أماكن مختلفة مثل دندرة وسيناء وأطفيح .. وقالوا أنها تظهــر على شكل بقرة كاملة أو سيدة يعلو رأســها قــرص الــشمس والقــرنين .. إلــى آخــر هــذه التخــاريف !! عزيزي القارئ .. هذه الإلهة المزعومة ما هي إلا

(امرأة فرعون) التي ورد ذكرها في القرآن الكـــريم والتي ضرب اللـــه بها المثل لكـــل المـــؤمنين فـــي التـــاريخ الإنساني كلـــه :

(وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة

ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين)

(التحريم ١١)

سيدنا المسيح عيسى عليه السلام

the Christ Jesus (Osiris) !

قالوا عنه أنه الإله المصري (أوزيريس) .. أو

(أزوريس) .. وقالوا أن اسمه هو إسر .. أو إسير .. أو آزار .. أو أوسير .. أو أوزير .. وقالوا أنه إله الأمـــوات والعالم السفلي .. وقالوا أنه (وزر) سيد الأبدية .. وقالوا أنـــه

إبن الإله (شــو) وإبن الإلـــه (تفنــوت) .. وقـــالوا أن الإلـــه الشرير (ســث) قد أغرقه في نهر النيل بعد أن قطعه إلى ٤٢ جزءا فبكت عليه زوجته (إيزيس) وجمعت أجزاءه وتمتمــت بأدعية فعادت إليه الحياة .. ثم أصبح ملكا على الموتى .. إلخ !!

عزيزي القارئ .. هذا الإله المزعوم ما هو إلا سيدنا المسيح عليه السلام الذي أحبه المصريون القدماء حبا جما واعتبــروه رسولا إلهيا للسلام .. ومعجزة إلهية من من معجزات اللـــه سبحانه وتعالى .

ورسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم

آل عمران ٤٩

and a divine messenger to the children of Israel !

السيدة مريم العذراء .. عليها السلام

our beloved eternal Egyptian mother ..
Mary (Isis) !

قالوا عـــنها أنها الإلهة المصرية (إيزيس) .. وأحيانا أخرى سموها الإله (إيست) ! .. قالوا عنها أنها الممرضـــة (رنـــن)) ..انظر جاردنر .. (B6 وقالوا أنها زوجـــة الإلـــه أوزيريس .. وقالوا أنها أم الإله حورس .. وقالوا أنها رمـــز الأمومة وأنها أكثر الآلهات تأثيرا في العقائـــد المـــصرية .. وقالوا أنها الإلهة (سبك_نت) مرضعة الإله حورس .. وقالوا أنها ولدت ابنها في مدينة)خمبس) في دلتا مـــصر .. وقـــالوا أنهـــــا أم الملـــــك (بيبـــــي_الثـــــاني) .. إلـــــخ !! عزيزي القارئ .. هذه الإلهة المزعومة ما هي إلا ســـتـــنـــا مـــريـــم العذراء البتول .. حبيبة كل المصريين منـــذ قـــديم الأزل .. التي اصطفاها اللـــه عز وجل عـــلى نساء العالمين ..

روح القدس

the Ancient Egyptian Holy Spirit Horus .. depicted in the form of the Falcon (rH / Hr) !

قالوا عنه أنه الإله المصري (حـــورس) .. قالوا أنه الإله الصقر الذي ظهر في كل العصور المــصرية القديمــة وحتى عصور ما قبل الأسرات .. وقالوا أنه ليس فقــط إلــه السماء بل أيضا الحامي والحارس لملوك مصر الفرعونيـــة .. وقالوا أنه اشتق منه عدة آلهة بعد ذلك .. وقالوا أنه إبن الإلهة إيزيس .. وقالوا أنه الإله قاهر الأشرار .. وقالوا أنـــه الإلـــه الذي يقوم بطقوس فتح فم الميت .. وقالوا أنه هو الذي قاتـــل الإله (ســـث) وهزمه .. وقالوا أن الإله (ســـث) كان أحيانـــا عمه وأحيانا أخرى أخوه .. وقالوا أن عينه اليمنى هي الشمس وعينه اليسرى هي القمر .. إلـــى آخـــر هـــذه التخـــاريف !! عزيزي القارئ .. هذا الإله المزعـــوم مـــا هـــو إلا الرمـــز المصري القديم لروح اللـــه ورسوله الأبدي (روح القـــدس)

.. الذي وصفه اللـــه عـــز وجـــل بأنه (الـــروح الأمـــيـــن) . كان المصريون القدماء يحبونه لدرجة لا يمكن وصفها .. ونراهم قد أطلقوا عليه اســـم (روح الـــــروح) .. وكـــانوا يتبركون به ويعتبرونه مصدر كل حماية وســـعادة لهـــم فـــي حياتهم اليومية ! ولأنه روح اللـــه (رح) فقد كانوا يرمـــزون لكلمتي (الرحمن) و)الرحيم) بنفس الرمز أو العلامـــة .. أي الصقر (رح) ..

ابليـــس

Iblis (bes) .. another name for the
Satan who was from the Jinn !

قالوا عنه أنه الإله المصري (بـــِـــس) بكسر الباء .. قالوا عنه أنه إله قزم ذو وجـــه شبه حيواني مخيـــف ولـــسان لاهث (كالكلب) .. وقالوا أنه إله الجـــنس واللهـــو والملـــذات والعرايـــــــــــــــــا .. إلـــــــــــــــــخ

عزيزي القارئ .. هذا الإله المزعوم ما هو إلا

(إبـــلـــيـــس) أو الشيطان .. وقد تخيله المـــصريون القدماء على هذا الشكل القبيح الذي نراه مرتديا جلد كلـــب .. وقد قرنوا بينه وبين كل آثام وشرور الإنسان !

فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فـــي الأرض

the scum vanish, but what benefits people remain

سؤال: لماذا وضع المصريون القدمـــاء بعض أمتعتهم معهم أثناء الدفن .. ولماذا كانوا يحنطون موتاهم؟

جواب: اللغة المصرية المكتوبة كانت تعتمد على الرســـومات للأشياء المستمدة من البيئة المصرية مثل الأشـــجار والجبـــال والنجوم والشمس والقمر والسفن والأنهار والدواب والزواحف والأسماك والأدوات المنزلية والأسلحة ومكونات جسم الإنسان والطيور .. إلخ. وكانت كل من هذه الرموز تعبر عن نغمـــات

صوتية لغوية محددة .. كما كانت تعبر أيضا عن معاني لكلمات مصرية معروفة. لذلك كان المصريون القدماء يحاولون) تمثيل وتجسيد (الكلمات والآيات الإلهية في صورة رسوم مصورة أو تماثيل أو أشياء مادية عينية لصعوبة كتابة وقراءة اللغة في ذلك الوقت السحيق من التاريخ . ولكل عصر من العصور رموزه وتقنيته . فمثلا القلة عند قدماء المصريين كانت ترمز إلى عبارة) ..حسبي الله ونعم الوكيل.. (وحبات القمح كانت ترمز إلى)الحسنات.. (والجعران كان يرمز إلى)الغفور.. (والشمس ترمز إلى كلمة)الرحيم.. (والثعبان الكبير كان يرمز إلى)الحفيظ.. (وثعبان الكوبرا كان يرمز إلى)الله أكبر(والصقر كان يرمز إلى)روح القدس.. (والنسر العجوز كان يرمز إلى)الرحمة.. (وهكذا . لذلك كانوا يضعون هذه الرموز معهم في قبورهم لتعبر عن هذه المعاني .. تماما كما يقوم بعض المسلمين الآن بكتابة بعض الآيات القرآنية على جدران القبور. هذا بالإضافة إلى أنهم كانوا يحاولون تحقيق وتجسيد بعض

الأوامر الإلهية بصورة عملية .. فمثلا نجد أنهم عبـروا عـن الآيــة الكريمة ..

(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل اللــه أمواتـــا بـل أحياء عند ربهم يرزقون)

بأن كانوا يضعون مع الشهيد كل الأدوات والموجودات والأطعمــة التي كان يستعملها في حياته العادية باعتبار أنه)حـي يـرزق(عند اللــه .. كما أوضح اللــه سبحانه وتعالى في آيته الكريمــة . وكانوا يعتقدون أن هذا هو أقـل تكريم للشهيد وأنه لا يزال حيـا . وكان بعض الملوك يعتبرون أنفسهم شهداء فداء وطنهم .. لذلك كانوا يأمرون بأن توضع بعض من ممتلكاتهم معهم في قبورهم.

ومن المهم أن نشير أيضا إلى أن وضع النفائس .. مثل المجوهرات والعملات والمشغولات الذهبية .. مع الميت كان له بعد اقتصادي هام في حياة المصريين القدماء .. حيث أنه لم تكن هناك بنوك أو خزائن أمينة في بيوت المصريين .. لذلك

كانت بعض العائلات المصرية تعتبر قبور موتى أرباب الأسر بمثابة بنوك أمينة يضعون فيها هذه النفائس ليقوم الأبناء والأحفاد بالسحب منها فيما بعد للصرف منها على حاجاتهم المعيشية. لذلك كانت كل أسرة تتفنن وتبدع في كيفية إخفاء القبر ومحاولة تضليل اللصوص عن مكانه بكافة السبل .. إلا أن ذلك لم يمنع اللصوص من الوصول لهذه المقابر ونهبها .. وهو ما نراه يحدث إلى الآن!!

أما التحنيط فقد كان هاما جدا لأن المصريون القدماء كانوا يعتقدون أن أجساد أو جثث الأنبياء والرسل والشهداء وأولياء اللـــه الصالحين يجب ألا تبلى بمرور الزمن لتكون تراثا روحيا للأجيال التالية من المصريين .. وهم قد نجحوا في ذلك نجاحا كبيرا .. ومن هذه الموروثات أدركنا أخيرا أنهم كانوا مسلمين ومؤمنين باللـــه الواحد الأحد .. لذلك نلاحظ أن كل هذه الجثث حنطت في وضع)الصلاة القائمة(للمسلمين .. وهو وضع اليد اليسرى على مكان القلب في منتصف الصدر ووضع اليد اليمنى فوق اليد اليسرى. ومن الواجب أن نذكر

أيضا أن هناك العديد من المقابر المصرية القديمة كانت تحوي جثثا غير محنطة لأشخاص عاديين من عامة الشعب المصري القديم .. وأن التحنيط كان يقتصر فقط على الشخصيات الدينية التي ذكرناها من قبل.

وفي العصور الحديثة من تاريخ مصر الفرعونية وبعدما أصبح التحنيط باهظ التكاليف وفوق القدرات المالية لمعظم المصريين ابتكروا وسيلة رخيصة تؤدى نفس الغرض بأن كانوا يضعون بجوار جثة الميت تمثال صغير مصنوع من الحجر أو الخشب صورة وجهه ترمز إلى صورة وجه الميت وأيضا مشكل في وضع الصلاة القائمة للمسلمين. وقد انتشر هذا الأسلوب انتشارا واسعا لرخص ثمنه وتأديته نفس الغرض من التحنيط .. لذلك عثر الأثريون على الآلاف من هذه التماثيل الصغيرة في مختلف المقابر الفرعونية.

Introduction to new translation of Rosetta Stone

translated by Dr. Ossama Alsaadawi

تـــرجـــمـــة : د. أسامة السعداوي

بسم اللـــه الرحمـــن الرحيـــم

- مقدمـــة :

أ - وصف الحجر :

حجـــر رشيـــد صنع في مصـــر عـــام ١٩٦ قبل الميلاد من حجر البازلت الأسود . أبعاده الحالية هي 30 * 77 * 118 سم وهو مستقر الآن في المتحف البريطاني الذي قدم نسخة مقلدة طبق الأصل منـــه لمكتبة الإسكندرية العظمى الجديدة .

على حجـــر رشيـــد نجـــد أن هنـــاك ثلاثـــة نصـــوص مكتوبـــة بثلاثـــة خطـــوط :

- الخط الهيروغليفـــي .. النص العلـــوي .

- الخط الديموطيقي .. النص الأوسط .
- الخط اليوناني .. النص السفلي .

Hieroglyphic Text of Rosetta Stone

سأقـــوم بترجمـــة الـــنص الهيروغليفـــي فقـــط ..

ونلاحـــظ معا ما يلي :

- النص الهيروغليفي مكون من ١٤ سطرا غير كاملة .
- اتجاه علامات الكتابة من اليمين إلى اليسار .. مثـــل اللغـــة العربيـــة .
- النص يأخذ شكـــل المثلث .. بمعنى أن السطور العليا أقصر من السطور السفلى .
- السطر السادس يحتوي على ثلاثة خراطيش ملكية .. والسطر الثاني عشر يحتوي على خرطوشة واحدة .. والسطر الرابع عشر يحتوي على خرطوشة واحدة .

ب - الفكـــرة والمعنـــى العـــام للنـــص :

النص الهيروغليفي المكتوب في حجر رشيد هو عبارة أساسا عـــن بشـــرى أو نبوءة روحانيـــة تتحدث عن شخصية عظيمة مقدسة ستأتي في المستقبل لإعادة بعث وتجديد وتأكيد الديانة المصرية القديمة . تلك البشرى أو النبوءة الفائقة الأهمية صيغت بأسلوب الدعاء والابتهالات إلى اللـــه عز وجـــل .. وهي تلخص بصورة رائعة وتشرح الديانة المصرية القديمة ككـــل .

ج - الخراطيش الملكيـــة :

لا يوجـــد هناك اســـم (بطليموس (Ptolmis مذكـــور في النص الهيروغليفي . كما أنـــه لا توجـــد نغمة p في اللغـــة المصـــرية القديمة وهي نغمة لاتينية خالصة لا يوجد ما يماثلها في العلامات الهيروغليفية .

لقد حاولوا الإيحاء لنا بأن (بطليموس (Ptolmis هو الاسم الحقيقي لهذا الملك اليوناني .. وقالوا أن هذا هو نطق الاسم كما ورد في الخرطوشة المدونة على حجر رشيد .. ولكن أيها

السادة إن الأسماء الحقيقية للملوك اليونانيين هي كالآتي .. وذلك كما وردت في الملحق الأول .. صفحة ٢٠٢ .. من كتاب : (مصر .. من الاسكندر الأكبر حتى الفتح العربي .. للمؤلف هـ . آيدرس بل .. ترجمة د. عبد اللطيف علي)

Egypt from Alexander the Great to the Arab Conquest, by H. Idris Bell - 1973 - Arabic Edition.

(Being the Gregynog lectures for 1946 - Oxford - 1948)

ref. no. 49

- سوتير ... بطليموس الأول !!
- فيلادلفوس ... بطليموس الثاني !!
- يورجتيس ... بطليموس الثالث !!
- فيلوباتو ... بطليموس الرابع !!
- إيبفانيس ... بطليموس الخامس !!

لقد بنى شامبليون نظريته على افتراض خاطئ . هذا الافتراض ينص على أن الخراطيش تحتوي على أسماء ملوك أو حكام مصر القديمة .. وهذا افتراض غير صحيح . كل الخراطيش تحتوي على (عبارات دينية مقدسة) .. وهي ليست أسماء .

هذه العبارات مكتوبة بصورة اختزال .. واللغة المصرية القديمة هي أساسا لغة اختزال لأسباب كثيرة يخرج شرحها عن مجال الترجمة هنا .

وكل عبارة دينية داخل الخرطوشة تعبر عن فكرة معينة أو مبدأ معين يؤمن به الملك .. لذلك فهو يختار هذه العبارة كشعار ملكي له عند التتويج .

وهذا المبدأ كان متبعا مع كل ملوك مصر القديمة حتى أولئك الملوك الأجانب الذين غزوا مصر واحتلوا أرضها .. فقد تم منحهم عبارات اختاروها بأنفسهم لتكون دلالة على فترة

توليهم العرش ..

من ناحية أخرى نجد أنه (من المحتمل) أن هؤلاء الملوك استخدموا أسماء ميلادهم أو العلامـــات الهيروغليفية الدالة على هذه الأسماء لتتواءم مع العبارات الدينية المنتقاة .. لكن لا يمكن لأحد ما أن يكون متأكدا من حقيقة اسم الميلاد للملك . لقد كانوا يعتقـــدون بأن التصريح بالاسم الحقيقي للملك يعطي أعداءه القدرة على إيذائه.

في ضوء ما سبق هيا بنا نحلل بحـــرص الخرطوشـــة الأولى الواردة في النص الهيروغليفي .. السطر السادس :

العبارة .. بصورتها الصحيحة .. :

نجدهـــا مدونة في قاموس والـــيس بـــــدج ص ٩٤٣ تحت أرقام لملوك ٣٩٥ و ٣٩٧

التركيب الصوتي الأحادي لهذه العبارة هو :

(ف – ت – وا – بـر - م – ى – س – لـم)- فتح – مري

وإذا كتبنا الاسم بطريقة أبجدية على طريقة شـــامبليون نحصل على الاسم التالي :

فـــتـــوابــــرمــــيــــســــلــــم - فـــتـــح - مــــري

عزيزي القارئ .. مـــا علاقـــة هـــذه العبـــارة بإســـم (بطليموس) ؟!!

الخلاصة : إن إفتــراض شـــامبليون الأساســـي بـــأن الخرطوشة تحتوي على إسم الملك

وأن الخرطوشة لها نظير في الخـــط الـــديموطيقي أو الخط اليوناني لحجر رشيد

إنما هو إفتراض خاطئ تماما مما يهدم نظرية شامليون من جذورها

وفي هذا الصدد يقول البروفيسور أفري ويلسون مـــن كندا في رسالة مفتوحة على الهواء:

من أفري ويلسون في ٢٠ ديسمبر ١٩٩٩م :

مرحبا بالجميع .. إن شامبليون لم يكتشف العلاقة بين الإسم والخرطوشة . لقد تم افتراض هذه العلاقة بواسطة السيد أ. كيستر في القرن السادس عشر .. وشامبليون استمر بناء على هذا المصدر . والطريقة المستخدمة بواسطته هي استمرار لما أنجزه يانج (عالم مصريات بريطاني) .. وهي طريقة بالغة الخلل والتصدع . هناك أمثلة عديدة لإثبات ذلك ولكني سأبدأ بأمثلة بسيطة . أولا دعونا نفترض أن فكرة الخرطوشة صحيحة . بمقارنة الخراطيش في النص العلوي (الهيروغليفي) ومساواتها بالأماكن التقريبية لأسماء (بطليموس) و (كيليوباترة) في النص اليوناني السفلي فإنه قارن القيم الصوتية للحروف اليونانية بما هو مفترض من العلامات الهيروغليفية داخل الخرطوشة . ولكن ما وجده حقيقة هو أن خرطوشة (بطليموس) تحتوي على علامات هيروغليفية أكثر من نظيرها اليونانية سواء حرفيا أو نغميا .. وهذا يترك نغمات فارغة في الهيروغليفية .

ونفس الشيء في اسم (كيليوباترة) . ولكن بدلا من الافتراض بأن العلامات الهيروغليفية لها نغمات مستقلة _ بمعنى أن النغمات المصرية لا تتوافق مع النغمات اليونانية_ فإنه في الحال اقترح بأن المكتوب داخل الخرطوشة هو (بطليموس) بالنطق اليوناني . إنه في الواقع كان يقارن اسم يوناني بإسم يوناني آخر دون أن يحاول أن يجعل العلامات الهيروغليفية تنتسب إلى النغمات المصرية الوطنية . بالإضافة إلى أنه كان يجعلها تتوافق قسرا دون أن يدعها تفصح عن ذاتها الحقيقي .

وإحقاقا للحق كان يجب عليه ملاحظة وإدراك أن نقل النغمات والعلامات غير متجانس أو متطابق

وكان يجب عليه أن يبحث عن طريقة أخرى

ولكنه لم يفعل

بل استمر على نفس المنهج الخاطئ مستخدما اسم (كيليوباترة) كإنجاز تالي . والغريب أنه لم يحصل على اسم (كليوباترة) من حجر رشيد بل حصل عليه من مسلة بانكي؟ .

حتى هنا فإن الخرطوشة لا تتساوى مع عدد العناصـــر فـــي النص اليوناني . لقد كانت هناك عناصر مهجورة أو مهملة ..

وبدلا من الإعتراف بأن عملية النقل خاطئة راح يخلق الأسباب أو الأعذار التي تبرر ذلك

وهذا أدى بالتالي إلى تعقيد وتراكم الأخطاء-منذ البداية

وباستمرار ذلك ازداد الوضع من سيئ إلى أسوأ بسبب وضع فكرة المقارنة الحرفية . هذا هو الـــسبب فـــي أن هـــذا العمل أدى اليوم إلى البلبلة أو الارتباك في حل شفرة العلامات الهيروغليفية المجهولة وأيضا السبب في قراءات أو تفسيرات متعددة للعلامات المعروفة . إن نظريتـــه القائلـــة بالمقارنـــة الحرفية بين اللغتين كانت يجب أن تستمر بنفس المـــنهج .. أو بعبارة أخرى .. إذا كنت بدأت بهذه الطريقة كان حتما عليـــك أن تستمر بها . يجب أن تتبع الشفرة .. وإذا لم تـــنجح كـــان يجب عليك أن تحاول تغيير الشفرة . لكنه لم يفعل .

وإذا عدنا مرة أخرى إلـــى تحليـــل محتويـــات هـــذه الخرطوشة .. وبدون الدخول في تفصيل لغوية معقدة لا تهـــم القارئ ..

نجد أنها تحتوي على عبارة مصرية قديمة شهيرة جـــدا تسمى بها العديد من ملوك مصر الفرعونية

على طول تاريخ عهود الأسرات وحتـــى فيمـــا قبـــل الأسرات .. هذه العبارة هي :

فـــتـــح مـــري

فـــاتبعـــوا مـــلـــة إبراهيـــم حنيفـــا ومـــا كـــان مـــن المشركيـــن

follow the peaceful creed of Abraham

ترجمها علماء المصريات إلى (بتاح مري) .. أو (فتاح مرن) .. وقالوا أن معناها هو (محبوب الإله بتاح) !!

ماذا نفهم من هذه العبارة الدينية؟ هل هي اسم ملك كما يقولون .. أم أنها جزء لا يتجزأ من النص الديني المكتوب بحروف هيروغليفية على حجر رشيد ؟ إن في ذلك تأكيد قاطع أن الاسكندر الأكبر اعتنق ديانة آمون .. التي هي نفسها .. ملة إبراهيم .. وأن كل أتباعه من ملوك البطالمة كانوا على نفس دين سيدنا إبراهيم عليه السلام .. وهي أيضا الديانة التي كانت سائدة بين المصريين في ذلك العهد ! ونحن سنرى فيما بعد كيف أن هذا الأمر أغضب حكام روما أشد الغضب خاصة بعد أن بدأت ديانة آمون في الانتشار في أوروبا مع اقتراب القرن الأول الميلادي مما دفع روما لغزو مصر للقضاء على تلك الديانة بأي ثمن !

وبذلــك نستــنــتــج بصورة قاطعــة .. مـــن هـــذه الخرطوشة .. أن المصريـــيـــن في العهد

(البطلمي اليوناني) .. (٣٣٠ - ٥٠ قبل المـــيلاد) .. كانوا من الحنفاء

وعلى دين سيدنا إبراهيم عليه السلام ..

كما كانوا دوما في جميع عهود مصر الفرعونية

وما قبلها لألفيات عديدة من التاريخ السحيق .. وهـــذا أمر هام للغاية

سلسلة
أساطير من الشرق والغرب

صدر منها حتى الآن....

١- مملكة الخواتم.
٢- حرب طروادة
٣- النبي المجهول
٤- صائد الدبابات
٥- نبوءة التلمود
٦- من قتل أجاثا كرستي
٧- الزئبق الأحمر
٨- مملكة الشمال (كنوز الفايكنج)
٩- قصة لم تحدث أصلاً
١٠- الجمجمة الزجاجية

سلسلة كاريزما
باقة من أشهر الشخصيات
التي أثرت في التاريخ

١-جمال عبد الناصر
٢- موسوليني
٣- ستالين
٤- تشرشل
٥- تشي جيفارا
٦- عمر المختار
٧- عزيز المصري
٨- كمال أتاتورك
٩- صقر قريش
١٠-الملك فاروق